

أحاديث الدعوة والتوجيه:

وعمل لما بعد الموت

(دراسة لإطالة عمر الإنسان)

إعداد
فألا من دمن فألا من

هههه

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على رسولنا الأمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أمّا بعد:

فبين أيدينا حديث من أحاديث الرسول غ ذو شأن عظيم في حياة المسلم الدنيوية والأخروية لما فيه من موضوع هام، ألا وهو عمر الإنسان ومنهجية استثماره، ذلك هو حديث «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت» إلى آخره.

ولا شك أن هذا الحديث يذكرنا بما يجب أن نكون عليه تجاه أنفسنا وأحوالنا وطرائق حياتنا، فنحاسب أنفسنا على ما مضى من أوقاتنا وأعمارنا، ماذا قدمنا؟ وماذا أخرجنا؟ وفي الوقت نفسه كيف نستثمر ما بقي منه؟ وكيف نطيله؟

وفي هذه الكلمات وقفات سريعة لعلها تكون عظة لمتعظ، ودرساً لتأمل، وعبرة لمعتبر، فنجدّ ونحث المسير إلى الدار الآخرة فتكون أعمارنا مليئة بالخير، ونقدّم لله تعالى أعمالاً ترفع درجاتنا وتكفر سيئاتنا وتشفع لنا عنده سبحانه وتعالى، والعاقل الحصيف هو الذي ينظر إلى أيامه وشهوره وأعوامه بهذا المنظار فتكون أعماله القادمة أفضل وأجل وأكثر وأقوى من أعماله السابقة، فهذا نتيجة النظر والتأمل، والمسلم هو كذلك إن شاء الله، وهو الكيس الذي جاء ذكره في هذا الحديث، وهو الذي دان نفسه وعمل لما بعد الموت، وليس العاجز الذي أتبع نفسه هواها وتمنى على الله التمني.

ومن هنا فقد تناولت الحديث المذكور في وقفات:

الأولى: نص الحديث وتخريجه.

الثانية: المعنى الإجمالي.

الثالثة: أهمية الوقت.

- الرابعة: خصائص الوقت.
- الخامسة: الزمن ميدان العمل.
- السادسة: أهمية المحاسبة للنفس وضرورتها.
- السابعة: فوائد محاسبة النفس.
- الثامنة: ميادين المحاسبة.
- التاسعة: الآثار السلبية لعدم المحاسبة.
- العاشر: الوسائل المعينة على المحاسبة.
- الحادية عشرة: معوقات المحاسبة.
- الثانية عشرة: كيف يطيل الإنسان عمره.

ثم نستعرض في الخاتمة أهم مستخلصات هذه الرؤية التي انطلقت من هذا الحديث الشريف.

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذه الكلمات وأن يجعلها من المدخرات في الحياة وبعد الممات ومن الحسنات الجارية، كما أسأله أن يصلح لنا الأقوال والأعمال والنيات إنه سميع قريب، كما أحسب أنني لن أعدم نصيحة أو ملحوظة هادفة من الإخوة والأخوات، فهذا عنوان التعاون على البر والتقوى، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

أ.د. فالح بن محمد بن فالح

الصغير

البريد الإلكتروني: faleh@alssunnah.com

الوقفه الأولى:

نص الحديث وتخر

قال الإمام الترمذي :: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ وَكِيعٍ حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ ح وَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَخْبَرَنَا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ أَخْبَرَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ عَنْ ضَمْرَةَ بْنِ حَبِيبٍ عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ عَنْ النَّبِيِّ غ قَالَ: «الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ».

قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ قَالَ: وَمَعْنَى قَوْلِهِ: مَنْ دَانَ نَفْسَهُ يَقُولُ: حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ يُحَاسَبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَيُرْوَى عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَتَرْيَبُوا لِلْعَرَضِ الْأَكْبَرِ، وَإِنَّمَا يَخَفُ الْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا، وَيُرْوَى عَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ: لَا يَكُونُ الْعَبْدُ تَقِيًّا حَتَّى يُحَاسِبَ نَفْسَهُ كَمَا يُحَاسِبُ شَرِيكَهُ مِنْ أَيْنَ مَطْعَمُهُ وَمَلْبَسُهُ.

أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع برقم (2459) ص (560)، كما أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له برقم (4260) ص (620) والإمام أحمد بن حنبل في مسند الشاميين برقم (16674). وهو حديث حسن كما بينه الترمذي. وأخرجه القضاعي في مسند الشهاب (185)، والحاكم في المستدرک برقم (198)، والطبراني في الكبير (7141، 7143) وفي مسند الشاميين (463، 1485)، وفي الصغير (2/240)، وقد رد الذهبي تصحيح الحاكم بقوله: لا والله أبو بكر وإه.

الوقفه الثانية:

المعنى الإجم

في معنى الحديث المنهجي وجدت من المناسب أن أنقل كلام بعض الشراح ليكون منهجاً للتأصيل، وأدع التفصيل في الوقفات الآتية:

قال المباركفوري في تحفة الأحوذى وهو يشرح الحديث المذكور:

قوله: «وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ» هُوَ الدَّارِمِيُّ.

«أَخْبَرَنَا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ» بِنِ أَوْسٍ الْوَاسِطِيُّ أَبُو عُمَانَ الْبَزَّارُ الْبَصْرِيُّ، ثِقَةٌ ثَبَتَ مِنَ الْعَاشِرَةِ.

«عَنْ ضَمْرَةَ بْنِ حَبِيبٍ» بِنِ صُهَيْبِ الزُّبَيْدِيِّ بِضَمِّ الزَّايِ الْحِمَاصِيِّ، ثِقَةٌ مِنَ الرَّابِعَةِ.

«عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ» بِنِ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ صَحَابِيٍّ مَاتَ بِالشَّامِ قَبْلَ السَّنَيْنِ أَوْ بَعْدَهَا، وَهُوَ ابْنُ أَخِي حَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ.

قوله: «الْكَيْسُ» أَيِ الْعَاقِلِ الْمُنْبَصِّرِ فِي الْأُمُورِ النَّاطِرِ فِي الْعَوَاقِبِ. «مَنْ دَانَ نَفْسَهُ» أَيِ حَاسِبَهَا وَأَذَلَّهَا وَاسْتَعْبَدَهَا وَقَهَرَهَا حَتَّى صَارَتْ مُطِيعَةً مُنْقَادَةً.

«وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ» قَبْلَ نُزُولِهِ لِيَصِيرَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَالْمَوْتُ عَاقِبَةُ أَمْرِ الدُّنْيَا، فَالْكَيْسُ مَنْ أَبْصَرَ الْعَاقِبَةَ.

«وَالْعَاجِزُ» الْمُقْصِرُ فِي الْأُمُورِ.

«مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا» مِنَ الْإِتْبَاعِ أَيِ جَعَلَهَا تَابِعَةً لِهَوَاهَا فَلَمْ يَكْفَهَا عَنْ الشَّهَوَاتِ وَلَمْ يَمْنَعْهَا عَنْ مُقَارَنَةِ الْمُحَرَّمَاتِ.

«وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ» وَفِي الْجَامِعِ الصَّغِيرِ: وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِيَّ، فَهُوَ مَعَ تَفْرِيطِهِ فِي طَاعَةِ رَبِّهِ وَاتِّبَاعِ شَهَوَاتِهِ لَا يَعْتَذِرُ بَلْ يَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِيَّ أَنْ يَغْفُو عَنْهُ.

قَالَ الطَّبِيبِيُّ :: وَالْعَاجِزُ الَّذِي غَلَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ وَعَمِلَ مَا أَمَرَتْهُ بِهِ نَفْسُهُ فَصَارَ عَاجِزًا لِنَفْسِهِ فَاتَّبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَأَعْطَاهَا مَا اشْتَهَتْهُ، قَوْلُ الْكَيْسِ بِالْعَاجِزِ وَالْمُقَابِلِ الْحَقِيقِيِّ لِلْكَيْسِ السَّفِيهِ الرَّأْيِ وَالْعَاجِزِ الْقَادِرِ لِيُؤْذِنَ بَأَنَّ الْكَيْسَ هُوَ الْقَادِرُ، وَالْعَاجِزُ هُوَ السَّفِيهِ وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ، أَيِ يُذِنُ وَيَتَمَنَّى

الْجَنَّةِ مِنْ غَيْرِ الاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ.
قَوْلُهُ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ» وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَابْنُ مَاجَهَ وَالْحَاكِمُ وَقَالَ صَحِيحٌ وَرَدَّهُ الذَّهَبِيُّ قَالَهُ الْمُنَاوِيُّ.
«حَاسِبُوا» بِكَسْرِ السَّيْنِ أَمْرٌ مِنَ الْمُحَاسَبَةِ.
«قَبْلَ أَنْ تُحَاسِبُوا» بِصِيغَةِ الْمَجْهُولِ.
«وَتَرَيْتُمُوهُ» الظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ اسْتَعْدُّوا وَتَهَيَّئُوا.
«لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ» أَيَّ يَوْمٍ تُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّكُمْ لِلْحِسَابِ.
«وَأِنَّمَا يَخِيفُ» بِكَسْرِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ مِنْ بَابِ ضَرْبٍ يَضْرِبُ أَيَّ يَصِيرُ خَفِيفًا وَيَسِيرًا.
«وَيُرَوَّى عَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ» قَالَ فِي التَّفْرِيدِ: مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ الْجَزْرِيُّ أَبُو أَيُّوبَ أَصْلُهُ كُوفِيٌّ نَزَلَ الرَّقَّةَ ثِقَةً فَفِيهِ، وَلِيَ الْجَزِيرَةَ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَكَانَ يُرْسِلُ مِنَ الرَّابِعَةِ^(١).
وقال المناوي في فيض القدير: «الكيس» أي العاقل، قال الزمخشري: الكيس حسن التاني في الأمور، والكيس المنسوب إلى الكيس المعروف به.
وقال ابن الأثير: «الكيس» في الأمور يجري مجرى الرفق فيها.
وقال الراغب: «الكيس» القدرة على جودة استنباط ما هو أصلح في بلوغ الخير، وتسميتهم الغادر كيساً إما على طريق التهكم أو تنبيهاً على أن الغادر يعد ذلك كيساً.
«من دان نفسه» أي حاسبها وأذلها واستعبدتها وقهرها، يعني جعل نفسه مطيعة منقادة لأوامر ربها.
قال أبو عبيد: الدين: الدأب، وهو أن يداوم على الطاعة، والدين: الحساب، قال ابن عربي: كان أشياخنا يحاسبون أنفسهم على ما يتكلمون به وما يفعلونه ويقيدونه في دفتر، فإذا كان بعد العشاء حاسبوا نفوسهم

^(١) تحفة الأحوذني (7/200).

وأحضروا دفترهم ونظروا فيما صدر منهم من قول وعمل، وقابلوا كلاً بما يستحقه؛ إن استحق استغفاراً استغفروا، أو التوبة تابوا، أو شكرًا شكروا، ثم ينامون، فزدنا عليهم في هذا الباب الخواطر، فكنا نقيد ما نحدث به نفوسنا ونهم به ونحاسبها عليه.

«وعمل لما بعد الموت» قبل نزوله؛ ليصير على نور من ربه. فالموت عاقبة أمور الدنيا، فالكيس من أبصر العاقبة، والأحمق من عمي عنها وحجبته الشهوات والغفلات.

«والعاجز» المقصر في الأمور، وهذا ما وقفت عليه في النسخ ورواه العسكري بلفظ الفاجر بالفاء.

«من أتبع نفسه هواها» فلم يكفها عن الشهوات ولم يمنعها عن مقارفة المحرمات واللذات.

«وتمنى على الله» زاد في رواية: الأمانى بتشديد الياء جمع أمنية، أي فهو مع تقصيره في طاعة ربه واتباع شهوات نفسه لا يستعد ولا يعتذر ولا يرجع، بل يتمنى على الله العفو والعافية والجنة مع الإصرار وترك التوبة والاستغفار.

قال الطيبي: والعاجز الذي غلبت عليه نفسه وقهرته فأعطاه ما تشتهي، قبل الكيس بالعاجز والمقابل الحقيقي للكيس السفیه الرأي وللعاجز القادر؛ إيداناً بأن الكيس هو القادر والعاجز هو السفیه. وأصل الأمنية ما يقدره الإنسان في نفسه من منى إذا قدر، ولذلك يطلق على الكذب وعلى ما يتمنى.

قال الحسن: إن قومًا ألهمهم الأمانى حتى خرجوا من الدنيا وما لهم حسنة، ويقول أحدهم: إني أحسن الظن بربي وكذب، لو أحسن الظن لأحسن العمل، (چچچچچچچچچچ) [فصلت: 23].

وقال سعيد بن جبیر: الغرة بالله أن يتمادى الرجل بالمعصية ويتمنى على الله المغفرة.

قال العسكري: وفيه رد على المرجئة وإثبات الوعيد. اهـ.

قد أفاد الخبر أن التمني مذموم وأما الرجاء فمحمود؛ لأن التمني يفضي بصاحبه إلى الكسل بخلاف الرجاء فإنه تعليق القلب بمحسوب يحصل حالاً.

قال الغزالي: والرجاء يكون على أصل والتمني لا يكون على أصل، فالعبد إذا اجتهد في الطاعات يقول: أرجو أن يتقبل الله مني هذا اليسير ويتم هذا التقصير ويعفو وأحسن الظن فهذا رجاء، وأما إذا غفل وترك الطاعة وارتكب المعاصي ولم يبال بوعده الله ولا وعيده ثم أخذ يقول: أرجو منه الجنة والنجاة من النار فهذه أمنية لا طائل تحتها، سماها رجاء وحسن ظن وذلك خطأ وضلال، وهو المشار إليه في الحديث.

«تنبيه»: قال الزمخشري: الأمانى جمع أمنية وهي تقدير الوقوع فيما يتراعى إليه الأمل. اهـ.

وقال غيره: التمني طلب ما لا مطمع فيه أو ما فيه عسر، فالأول نحو قول الهرم:

- ألا ليت الشباب يعود يوماً.

- الثاني نحو قول العادم: ليت لي مائلاً فأحج منه، فإن حصول المال ممكن لكن يعسر، والحاصل أن التمني يكون في الممتنع والممكن لا الواجب كمجيء الغد⁽²⁾.

وفي الأثر: «الكيس من عمل لما بعد الموت» من حيث إنه لا خير يصل إليه الإنسان أفضل مما بعد الموت؛ لأن عاجل الحال يشترك في درك ضره ونفعه وجميع الحيوانات بالطبع، وإنما الشأن في العمل للأجل، فجدير بمن الموت مصرعه، والتراب مضجعه، والدود أنسه، ومنكر ونكير جليسه، والقبر مقره، وبطن الأرض مستقره، والقيامة مواعده، والجنة أو النار مورده؛ أن لا يكون له ذكر إلا الموت وما بعده، ولا ذكر إلا له، ولا استعداد إلا لأجله، ولا تدبير إلا فيه، ولا مطلع إلا إليه، ولا تعريج إلا عليه، ولا اهتمام إلا به، ولا حوم إلا حوله، ولا انتظار وتربص

⁽²⁾ فيض القدير للمناوي (9/68، 69).

إلا له، وحقيق بأن يعدّ نفسه من الموتى ويراهما في أصحاب القبور، فإن كل ما هو آت قريب، والبعيد ما ليس بآت، فذلك كان الكيس من عمل لما بعد الموت، ولا يتيسر الاستعداد للشيء إلا عند تجدد ذكره على القلب، ولا يتجدد ذكره إلا عند التذكر بالإصغاء إلى المذكرات والنظر في المنهيات.

أهمية الوقت

⁽³⁾ أخرجه البخاري برقم (6412) في الرقاق، باب الصحة والفراغ، والترمذي برقم (2304) في الزهد، باب الصحة والفراغ، وابن ماجه برقم (4170) في الزهد، باب الحكمة.

⁽⁴⁾ أخرجه الحاكم في المستدرك برقم (7846) في الرقاق (4/306).

ولذا ورد الشرع بالحث على العمل والمبادرة إليه كما هو واضح في الحديثين السابقين. وجاءت أقوال السلف وأعمالهم مطبقة لهذا المبدأ العظيم.

قال عمر ا: التؤدة في كل شيء خير، إلا ما كان من أمر الآخرة.

وكان الحسن يقول: عجباً لقوم أمروا بالزاد، ونودي فيهم بالرحيل، وحبس أولهم على آخرهم، وهم قعود يلعبون.

وقال سحيم مولى تميم: جلست إلى عبد الله بن عبد الله فأوجز في صلاته، ثم أقبل عليّ وقال: أرحني بحاجتك فإني أبادر، فقلت: وما تبادر؟ قال: ملك الموت، وكان يصلي كل يوم ركعات كثيرة.

وكانوا يبادرون بالأعمال غاية ما يمكن، فكان ابن عمر يقوم في الليل فيتوضأ ويصلي، ثم يغني إغفاء الطير، ثم يقوم فيتوضأ ويصلي، ثم يغني إغفاء الطير، ثم يقوم ويصلي يفعل ذلك مرات⁽⁵⁾.

والمسلم تجاه وقته على ثلاث شعب:

- وقت مضى فيحاسب نفسه ما ذا عمل فيه.

- ووقت حاضر ينبغي أن يجاهد نفسه ويراقب فيها ربه، فيعمل لآخرته كما قال ابن عمر ا: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك»⁽⁶⁾.

- ووقت يأمله فيخطط له ويحيا له على عمل صالح.

وهذا هو حال ابن آدم لا يخلو حاله عن واحد من هذه الثلاث، فأما ما مضى فقد مضى وانتهى زمناً ولكن لم ينته حقيقة إذ لا بد على الكيس العاقل أن يحاسب نفسه عليه، وينظر ما كان وما ينبغي أنه كان وماذا استفاد منه وماذا خسر؟

فعليه أن يعيد جميع حساباته كما يفعل التاجر في نهاية يومه. . يحسب

⁽⁵⁾ مختصر منهاج القاصدين 490.

⁽⁶⁾ أخرجه البخاري برقم (6416) في الرقاق، باب قول النبي غ: «كن في الدنيا كأنك غريب..»، والترمذي برقم (2333) في الزهد، باب ما جاء في قصر الأمل.

ما له وما عليه من ربح وخسارة وديون وحقوق.

وأما الحاضر فعليه أن يسعى ويعمل بما فيه صلاحه وصلاح الآخرين؛ لأنه مستخلف في هذه الأرض لينظر الله تعالى كيف يعمل فيها، وأما المؤمل في المستقبل فليخطط له بما فيه مصلحته ولكن لا يكن هو شغله الشاغل فإنه لا يدري إذا جنَّ ليلٌ هل يعيش إلى الفجر؟

فكن وسطاً بين ما مضى، لا تقض حياتك في حسرة على فواته ولا مشغولاً في التخطيط في المؤمل مما يكون أو لا يكون .. ولكن اعمل لوقتكَ الذي تعيش وحاسب نفسك على ما مضى وخطط للمستقبل وكن متوازناً في ذلك كله.

الوقفه الرابعه:

خصائص الوقت

إذا تأملنا في هذا الوقت الذي أشار إليه هذا الحديث نجد أن له خصائص؛ على الإنسان أن لا يغفل عنها .. أذكر من هذه الخصائص ما يلي:

1- أنه سريع الانقضاء فهو يمر مرّ السحاب:

إذا كان آخر العمر موتاً فسواء قصيره والطويل
والواقع خير شاهد على هذا، ولا يحتاج إلى دليل.

2- ما مضى من هذا الوقت لا يعود:

يقول الحسن: ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي: يا ابن آدم! أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فتزود مني فإنني إذا مضيت لا أعود.

يقول أحدهم: جلست يوماً بين يدي الله تعالى نادماً على أوقات سلفت من عمري واستدعيت لحظة من لحظات حياتي فقلت لها: أريدك أن ترجعي إليّ حتى أستغلك في الخير.

قالت: إن الزمان لا يقف محايداً أبداً.

قلت: يا لحظة أرجوك ارجعي إليّ حتى أنتفع بك وأعوض تقصيري فيك.

قالت: وكيف أرجع وقد غطتني صفحات أعمالك!

قلت: افعلي المستحيل وارجعي فكم من اللحظات قد ضيعتها بعدك؟

قالت: لو كان الأمر بيدي لرجعت، ولكن لا حياة لمن تنادي وقد طويت صحائف أعمالك ورفعت إلى الله تعالى.

قلت: وهل يستحيل رجوعك إليّ وأنت تخاطبيني؟

قالت: إن اللحظات في الحياة إما صديقة ودودة تشهد لصاحبها وإما عدوة لدودة تشهد عليه، وأنا من اللحظات التي هي من أعدائك، والتي تشهد عليك يوم القيامة، فكيف يجتمع الأعداء؟

قلت: يا حسرتي على ما ضيعت من عمري من لحظات ولكنني أرجوك أرجعي إلي حتى أعمل فيك صالحًا فيما تركت، وسكتت اللحظة .. **فقلت:** يا لحظة! ألا تسمعي؟ أجيبيني أرجوك.

قالت: يا غافلاً عن نفسه، يا مضيعاً لأوقاته ألا تعلم أنك الآن من أجل إرجاع لحظة قد ضيعت لحظات من عمرك، فهل عساك ترجعها كذلك؟ ولكن لا أقول إلا: (عِ كَثَاكْ) [سورة هود: 114].

كان هذا حوار مع لحظة أحببت إirاده لما فيه من لمسات لطيفة يدركها من تدبر قراءتها وأمعن النظر في مضمونها، فلتعلم أن الدقيقة التي تمرُّ لن تعود مرة أخرى، ولما كان لكل واحد منا عمر واحد فقط، ولما كانت الأيام والأسابيع والسنون تجري من حولنا بسرعة.. أعتقد أنه من الأفضل أن نأخذ من الحياة أقصى ما نستطيع قبل أن ينتهي الزمن المخصص لكل منا.

3- من خصائص الوقت أيضًا: أنه أنفس ما يملك الإنسان لأنه حياته ومستودع أعماله.

ومن هنا أمرنا باغتنامه وعدم التفريط فيه، بل والحرص عليه كما كان السلف رحمهم الله تعالى.

يقول الحسن: أدركت أقوامًا كانوا على أوقاتهم أشد منكم حرصًا على دراهمكم ودنانيركم.

ويقول ابن مسعود: ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمس، نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي.

ويقول الشاعر:

إذا مرَّ بي يوم ولم أقتبس هدى ولم أستفد علمًا فما ذاك من
عمري

(⁷) أخرجه الترمذي برقم (2306) في الزهد، باب ما جاء في المبادرة بالعمل.
(⁸) أخرجه الترمذي برقم (2450) في القيامة، باب في ثواب الإطعام .. وحديث «من خاف أدلج».

الوقفة الخامسة:

الزمن ميدان العمل

هذا الوقت الغالي ميدان العمل والتنافس أمرنا بتنظيمه على الواجبات والأعمال المختلفة: دينية ودنيوية حتى لا يطغى جانب على جانب، قال تعالى: (بدنائنه نهئوئوئوئوئوئو...) [القصص:77].

قال ابن سدي : في معرض تفسيره لهذه الآية: قد حصل عندك من وسائل الآخرة ما ليس عند غيرك من الأموال، فابتغ بها ما عند الله، وتصدق ولا تقتصر على مجرد نيل الشهوات وتحصيل اللذات⁽⁹⁾.

فعلى العاقل تنظيم وقته الذي هو عمره، يشير رسول الله غ إلى هذا التنظيم فيما رواه ابن حبان في صحيحه عن أبي ذر عن النبي غ قال: «كان في صحف إبراهيم عليه الصلاة والسلام: وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن تكون له ساعات: ساعة يُناجي فيها ربّه، وساعة يُحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكر فيها في صنع الله، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب...»⁽¹⁰⁾.

وهذا مثال لتنظيم الوقت وترتيبه، وحسن استغلاله وعدم تضيقه، بل ضرورة توزيعه على الواجبات والأعمال، والوقت قصير والواجبات أكثر منه، ولكن عند تنظيمه وترتيبه يبارك الله فيه.

وإليك مثلاً على ذلك:

0 أن تعمل كل شيء في وقته: مثل أعمال اليوم واللييلة كالصلوات الخمس، والاستغفار وقت السحر، وصلاة الضحى والوتر، وهكذا قم بها غير متأخر عنها ...

⁽⁹⁾ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص623.

⁽¹⁰⁾ انظر: «الإحسان» (361) ، وإسناده ضعيف جداً ؛ فإن في سننه إبراهيم بن هشام متروك

- 0 عملك الوظيفي أو التجاري أو المعيشي أيًا كان له وقته اليومي بضوابطه الشرعية، ومنها: عدم بخسه، وأداؤه على الوجه الأكمل، فعليك أن تقوم به محتسبًا فيه الأجر والثواب.
- 0 الحقوق التي عليك، لوالديك، وأولادك، وجيرانك، وأقاربك، رتب لها أوقاتًا يومية أو أسبوعية أو شهرية ونفذ هذا الترتيب بدون إخلال.
- 0 اجعل لنفسك مجالًا من المجالات الخيرية، طلب العلم الشرعي، الدعوة إلى الله، المشاركة في أعمال البر والإغاثة، النصائح الفردية، فإن لم تستطع أو تجيد مثل هذه الأعمال، خصّص أعمالًا تستطيعها: صيام ثلاثة أيام من الشهر، قيام جزء من الليل، الدعاء، الأذكار المطلقة والمقيدة، قراءة القرآن وغيرها من أبواب الخير الكثيرة.
- هذه مجرد أمثلة على أعمالك التي تحتاج منك إلى ترتيب وتنظيم، فاترك الفوضى ورتبها حتى تستثمر عمرك الذي هو ميدان عملك، وستجد الخير العظيم الذي يعود نفعه عليك في الدنيا والآخرة.

¹¹ (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص 128).
¹² (أخرجه الترمذي برقم (2416، 2417) في القيامة، باب القيامة).

¹⁶ (تفسير ابن كثير سورة الحشر آية: 18).

يؤبقه⁽¹⁷⁾.

وقال ابن سعدي : كلاماً في معرض تفسيره للآية أراه حقيقة من أنفس ما كتب في كتب التفسير، قال ::

يأمر تعالى عباده المؤمنين بما يوجب الإيمان ويقتضيه من لزوم تقواه، سرّاً وعلانية في جميع الأحوال، وأن يراعوا ما أمرهم الله به من أوامره وشرائعه وحدوده، وينظروا ما لهم وما عليهم، وماذا حصلوا عليه من الأعمال التي تنفعهم أو تضرهم في يوم القيامة، فإنهم إذا جعلوا الآخرة نصب أعينهم وقبلة قلوبهم، واهتموا بالمقام بها، اجتهدوا في كثرة الأعمال الموصلة إليها، وتصفيتها من القواطع والعوائق التي توقفهم عن السير أو تعوقهم أو تصرفهم، وإذا علموا أيضاً أن الله خبير بما يعملون لا يخفى عليه أعمالهم، ولا تضيع لديه ولا يهملها أوجب لهم الجد والاجتهاد.

وهذه الآية الكريمة أصل في محاسبة العبد نفسه، وأنه ينبغي له أن يتفقدوها، فإن رأى زللاً تداركه بالإقلاع عنه والتوبة النصوح، والإعراض عن الأسباب الموصلة إليه، وإن رأى نفسه مقصراً في أمر من أوامر الله، بذل جهده واستعان بربه في تكميله وتتميمه وإتقانه، ويقايس بين منن الله عليه وإحسانه وبين تقصيره، فإن ذلك يوجب له الحياء بلا محالة.

والحرمان كل الحرمان: أن يغفل العبد عن هذا الأمر، ويشابه قوماً نسوا الله وغفلوا عن ذكره والقيام بحقه وأقبلوا على حظوظ أنفسهم وشهواتها فلم ينجحوا ولم يحصلوا على طائل بل أنسأهم الله مصالح أنفسهم، وأغفلهم عن منافعها وفوائدها، فصار أمرهم فرطاً فرجعوا بخسارة الدارين، وغبنوا غبناً لا يمكنهم تداركه⁽¹⁸⁾.

والرسول غ يقرر هذا المبدأ ويحث عليه .. كما يظهر هذا فيما يرويه شداد بن أوس ا قال: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني»⁽¹⁹⁾.

¹⁷ (مختصر تفسير البغوي 2/937).

¹⁸ (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص853).

¹⁹ (أخرجه الترمذي برقم (2495) في القيامة، باب حديث «الكيس من دان نفسه..» وابن ماجه برقم (4260) في الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد، وأحمد 4/124).

فالذكي العاقل من حاسب نفسه وشدد عليها في الدنيا وأدانها بما عملت؛ لأن الحساب في الدنيا أيسر منه في الآخرة وهي دار العمل، فله أن يتدارك نفسه بالعمل الصالح إن وجد التقصير من نفسه.

وأما العاجز فهو من أرفق مع نفسه وسار معها على ما تهوى وتشتهي ويمنيها برحمة الله ومغفرته، فهذا سيقصر في العمل ولا ريب، ويصعب حسابه في الآخرة، وقد عمل السلف رضوان الله عليهم بهذا المبدأ العظيم وحثوا عليه ..

يقول الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ا: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنها قبل أن توزنوا، فإنه أهون عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزينوا للعرض الأكبر، يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية⁽²⁰⁾.

وقال علي بن أبي طالب ا: ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل⁽²¹⁾.

ويقول الحسن البصري: إن المؤمن والله ما تراه إلا يلوم نفسه على كل حالاته، يستقصرها في كل فعل فيندم ويلوم نفسه، وإن الفاجر ليمضي قدماً لا يعاتب نفسه⁽²²⁾.

وهذا شواهد واضحة لا تخفى، فالمؤمن المراقب لله تعالى تجده دائماً يشعر بالتقصير وهو يقسو على نفسه حتى يقودها إلى طريق الأمان ومستقر الرحمة، ويندم على ما فاتته، ويندم على ما قصر من العمل والطاعة كما يندم ويعاتب ويعاقب نفسه على المعصية، فهو إن عمل الطاعة يلوم نفسه ويندم على التقصير وعدم الجد والاستزادة، وإن عمل السيئة عاقب نفسه وعاتبها وندم على ما اقترف من الإثم.

أما الفاجر فهو يسير في هذه الدنيا يتمتع ويلهيه الأمل فيسير قدماً لا عتاب ولا حساب، فيكون رصيده في نهاية المطاف خاسراً غير رابح.

⁽²⁰⁾ أخرجه أحمد في الزهد (149) وهو حسن.

⁽²¹⁾ جزء من أثر أخرجه في الزهد 162، 163.

⁽²²⁾ الزهد 343.

حكي أن رجلاً حاسب نفسه؛ فحسب عمره فإذا هو ستون عامًا، ثم حسب أيامها فإذا هي إحدى وعشرون ألف وثلاثمائة يوم، فصاح يا ويلاه، إذا كان لي في كل يوم ذنب فكيف ألقى الله بهذا العدد؟ فخر مغشياً عليه، فحركوه فإذا هو قد مات.

أي محاسبة هذه! وأي استشعار كان من هذا الرجل! هل جلس أحدنا مع نفسه مثل هذا المجلس.. لماذا يكون منا المحاسبة بالقنطار إن كان لنا عند الآخرين حق من الحقوق .. ألا تكون هذه المحاسبة ذاتها لأنفسنا حتى تؤدي ما عليها في حق الله تعالى؟!

يقول ميمون بن مهران: لا يكون العبد تقياً حتى يكون لنفسه أشد محاسبة من الشريك لشريكه.

ولهذا قيل: النفس كالشريك الخوان إن لم تحاسبه ذهب بمالك.

يقول ابن قدامة ::

اعلم أن التاجر كما يستعين بشريكه في التجارة طلباً للربح، ويشارطه ويحاسبه، كذلك العقل يحتاج إلى مشاركة النفس ويوظف عليها الوظائف ويشترط عليها الشروط ويرشدها في طريق الفلاح، ثم لا يغفل عن مراقبتها فإنه لا يأمن خيانتها وتضييعها رأس المال، ثم بعد الفراغ ينبغي أن يحاسبها ويطالبها بالوفاء بما شرط عليها، فإن هذه التجارة ربحها الفردوس الأعلى، فتدقيق الحساب في هذا مع النفس أهم من تدقيقه بكثير من أرباح الدنيا، فحتم على كل ذي عزم آمن بالله واليوم الآخر أن لا يغفل عن محاسبة نفسه، والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها وخطراتها، فإن كل نفس من أنفاس العمر جوهرة نفيسة لا يعوض لها⁽²³⁾.

إن هذه النفس بطبيعتها تأبى الانقياد والطاعة، فهي دائماً عنيدة شاردة كالإبل الشاردة إن لم تلجمها بلجام قوي تفلتت من عقْلِها ولم تعد تستطيع السيطرة عليها وقيادتها.

كتب عمر لبعض عماله: حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة، فإن من حاسب نفسه في الرخاء قبل حساب الشدة عاد أمره إلى الرضا

⁽²³⁾ مختصر منهاج القاصدين ص473.

والغبطة، ومن ألتهته حياته وشغلته أهواؤه عاد أمره إلى الندامة والخسارة.
ويقول الحسن: المؤمن قوام على نفسه يحاسب نفسه الله، وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة.
وقال مالك بن دينار: رحم الله عبداً قال لنفسه: ألسنت صاحبة كذا؟ ثم ذمها ثم خطمها، ثم ألزمها كتاب الله عز وجل فكان لها قائداً.
 وروى الإمام أحمد **عن أبي الدرداء** : لا ينقد الرجل كل النقد حتى يمقت الناس في جنب الله، ثم يرجع إلى نفسه فيكون أشد مقتاً.

* * *

هؤلاء هم سلف الأمة ونصحاؤها، حاسبوا أنفسهم وحثوا على ذلك، ورغبوا وشجعوا ونهّوا، ولينظر العاقل إلى أهل الأموال كيف يحاسبون أنفسهم ومن معهم.

ولينظر إلى أهل الأعمال!

ولينظر إلى أصحاب المزارع!

وهكذا .. أليست المحاسبة لليوم العظيم أشد وأهم وأدق؟

فلم الإهمال والتقصير والتكاسل والتخاذل؟!

□ ◀ ▶ □

الوقف السابعة:

فوائد محاسبة²⁴ ١٠

هذه المحاسبة للنفس لها فوائد في الدنيا والآخرة وثمار في العاجل والآجل وعلى حياة الإنسان وأعماله، منها ما يلي:

أولاً: أن يعرف العبد حق الله تعالى عليه؛ فإن ذلك يورثه مقت نفسه، والإزراء عليها ويخلصه من العجب ورؤية العمل، ويفتح له باب الخضوع والذل والانكسار بين يدي ربه، واليأس من نفسه، وأن النجاة لا تحصل له إلا بعفو الله، ومغفرته ورحمته، فإن من حقه أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر⁽²⁴⁾.

ثانياً: الاطلاع على عيوب النفس: ومن لم يطلع على عيوب نفسه لم يمكنه إزالتها.

قال يونس بن عبيد: إني لأجد مائة خصلة من خصال الخير ما أعلم أن في نفسي منها واحدة.

وقال محمد بن واسع: لو كان للذنوب ريح ما قدر أحد أن يجلس إليّ. وروى الإمام أحمد عن أبي الدرداء: لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس من جنب الله، ثم يرجع إلى نفسه فيكون أشد لها مقتاً⁽²⁵⁾.

إن محاسبة الإنسان لنفسه تعلمه عيوبها ومواطن الضعف والنقص فيها، وإذا علم الفرد عيوب نفسه استطاع أن يعالجها ويقومها.

لو أنك حاسبت نفسك على الصلاة يوماً فوجدت أنك قصرت فيها بأن لا تحضر مثلاً إلا مع الإقامة، فتبدأ بعلاجها، ثم ترى مستقبلاً أنك من المبكرين لها.

²⁴ (تزكية النفوس ص 80).

²⁵ (تزكية النفوس ص 80).

واعجباً لمن يرى الأفاعي تدب إليه وهو لا ينزعج، أما يرى الشيخ

دبيب الموت في أعضائه، قد أخرج سكين القوى وأنزل متغشرم الضعف، وقلب السواد بياضاً، ثم في كل يوم يزيد الناقص.

ففي نظر العاقل إلى نفسه ما يشغله عن النظر إلى خراب الدنيا وفراق الإخوان، وإن كان ذلك مزعجاً.

ولكن شغل من احترق بيته بنقل متاعه يلهيه عن ذكر بيوت الجيران. وإنه لما يسلي عن الدنيا ويهون فراقها استبدال المعارف ثم تنكره لمن حوله أو تنكرهم له.

فقد رأينا أغنياء كانوا يؤثرون، وفقراء كانوا يصبرونه ومحاسبين لأنفسهم يتورعون فاستبدل السفهاء عن العقلاء والبخلاء عن الكرماء.

فيا سهولة الرحيل، لعل النفس تلقى من فقدت، فتلحق بمن أحبت⁽²⁶⁾.

رابعاً: تولد خلق الحياء وتنميته من الله تعالى، لأن الإنسان إذا حاسب نفسه على التقصير ورأى نعم الله إليه نازلة ومعاصيه وذنوبه إلى ربه صاعدة قدر نفسه وهوانها، وتولد عنده خلق الحياء، والحياء من الله قائد لشكر نعمته وعدم جحودها فيقف عند حدوده.

خامساً: الحث على العمل والازدياد منه.. فهي تدفع إلى العمل والجد والنشاط .. كيف ذلك؟

خذ مثلاً: المقصر في دروسه وعلومه، فإن الإنسان إن حاسب نفسه على تقصيره في مجال دروسه وما وصلت إليه حاله بسبب التقصير حثه ذلك ودفعه إلى التفوق وشحذ الهمة .. وكذلك الأمر في الطاعات في جنب الله.

سادساً: معرفة نعم الله سبحانه على العبد التي لا تعد ولا تحصى.. قال تعالى: (فَذُقْ ذُقْ) [إبراهيم: 34] أي لا تطيقوا عدّها ولا القيام بشكرها⁽²⁷⁾.

نعمة الإسلام، نعمة الهداية، الأمن، الصحة، القوة، الطمأنينة، الجسم،

⁽²⁶⁾ صيد الخاطر ص 410.

⁽²⁷⁾ مختصر تفسير البغوي 1/473.

السمع، البصر، الذرية، سلامة العقل ... الخ .. نعم كثيرة وتذكّر واستشعار هذه النعم تعظم في نفسه فيشكر الله على هذه النعمة.. (ققج) [إبراهيم: 7].

قال الحسن: أكثروا من ذكر هذه النعم فإن ذكرها شكر، وقد أمر الله نبيه أن يحدث بنعمة ربه فقال: (تَنْتُ) [الضحى: 11]، والله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، فإن ذلك شكرها بلسان الحال⁽²⁸⁾.

يقول ابن سعدي :: الشكر هو اعتراف القلب بنعم الله، والثناء على الله بها، وصرافها في مرضاة الله، وكفر النعمة ضد ذلك⁽²⁹⁾.

وشكر العبد يدور على ثلاثة أركان وهي: الاعتراف بالنعمة باطنًا، والتحدث بها ظاهرًا، والاستعانة بها على طاعة الله.

فالشكر يتعلق بالقلب واللسان والجوارح، فالقلب للمعرفة، والمحبة واللسان للثناء والحمد، والجوارح لاستعمالها في طاعة المشكور وكفها عن معاصيه⁽³⁰⁾.

سابعًا: ويتبع معرفة نعم الله: الصبر .. عندما يرى شيئًا من البليات فلا يتسخط ولا يجزع، فتأمل هذه النعم: «عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له»⁽³¹⁾.

يروى عن سعيد بن جبير أنه قال: الصبر: اعتراف العبد لله بما أصابه منه، واحتسابه عن الله، ورجاء ثوابه، وقد يجزع العبد وهو يتجلد لا يرى منه إلا الصبر⁽³²⁾.

إن الله سبحانه جعل الصبر جوادًا لا يكيو، وصارمًا لا ينيو، وجندًا غالبًا لا يهزم، وحصنًا حصينًا لا يهدم، فهو والنصر أخوان شقيقان، وقد مدح الله عز وجل في كتابه الصابرين، وأخبر أنه يؤتيهم أجرهم بغير حساب، وأخبر أنه معهم بهدايته ونصره العزيز، وفتح المبين، فقال: (

²⁸ (تزكية النفوس ص 96.

²⁹ (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص 422.

³⁰ (تزكية النفوس ص 93.

³¹ (أخرجه مسلم برقم (2999) في الزهد، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، وأحمد 5/24.

³² (تزكية النفوس ص 81، 82 بتصرف.

ثامناً: دوام الخشية لله، ولا يزداد منها الإنسان، إلا إذا ازدادت معرفته به، ولا تزيد إلا إذا حاسب نفسه، ولذلك من كان لله أعرف كان له أخشى (وؤووؤؤ) [فاطر: 28].

إنما يخشاه سبحانه بالغيب العالمون به، وبما يليق به من صفاته الجليلة وأفعاله الجميلة، فمن كان أعلم بالله كان أخشاهم له، ومن لم يخش الله فليس بعالم. والمراد بهذا العلم: العلم بكيفية اختلاف الألوان ونحوها من أفعال الله تعالى، فإن خشية من يعلم ذلك وهو مؤمن أعظم من خشية غيره⁽³³⁾.

قال ابن عباس: إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني. قال النبي غ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»⁽³⁴⁾.

وقال مسروق: كفى بخشية الله علماً وكفى بالاغترار بالله جهلاً⁽³⁵⁾.
تاسعاً: استصغار العمل وكبر النعمة فيرى أن عمله في مقابل ما يعطيه الله سبحانه وتعالى أقل.

لك أن تتصور مثلاً: نعمة المال التي أعطاك الله .. كم تبلغ أموالك؟ وإن بلغت أمثال الجبال فإنه لا يلزمك إلا ربع العشر في الزكاة.

إن الله تفضل عليك بإفاسة هذا المال بين يديك، ولم يكلفك إلا بأداء القليل، فعملك قليل صغير، والنعمة أكبر وأكثر من ذلك الذي تؤديه.

وقس على هذه النعمة بقية النعم كنعمة الجوارح من سمع وبصر
وشم، ونعمة الأمن، وقبلها وبعدها نعمة الهداية إلى هذا الدين وغيرها من

³³() زبدة التفسير ص 575.

³⁴(-) أخرجه البخاري برقم (4621) في التفسير، باب قوله: (لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم).

³⁵(مختصر تفسیر البغوی 2/769).

النعم التي لا تعد ولا تحصى.

عاشراً: محاسبة النفس تورث التوبة والندم، وهذه أعظمها، ومنزل التوبة أول المنازل وأوسطها وآخرها، فلا يفارق العبد السالك ولا يزال فيه إلى الممات، وإن ارتحل إلى منزل آخر ارتحل به، واستصحب معه، ونزل له، فالتوبة هي بداية العبد ونهايته.. وقد قال تعالى: (نَدَىٰ يَٰيُجِيجُ نَحْمِ) [النور:31].

وهذه الآية في سورة مدنية خاطب الله بها أهل الإيمان، وخيار خلقه أن يتوبوا إليه بعد إيمانهم وصبرهم، وهجرتهم وجهادهم ثم علق الفلاح بالتوبة، وأتى بكلمة «لعل» إيذاناً بأنكم إذا تبتم على رجاء الفلاح، فلا يرجو الفلاح إلا التائبون .. جعلنا الله منهم⁽³⁶⁾.

الحادي عشر: يتبع ذلك تخفيف الحساب وتيسيره كما سبق في أثر عمر بن الخطاب ا، وهذه والله من أعظم النعم وأفضلها وأجلها، وأما الذي لا يحاسب نفسه ويهملها كان من الخاسرين، ولو لم يكن إلا هذه لكفت.

□◀ ▶□

³⁶() تركية النفوس ص135.

الوقفه الثامنة :

ميادين المحاسبة

عرفنا مما سبق أهمية محاسبة النفس ودعوة الكتاب والسنة لها..
ولكن يا ترى يحاسب العبد نفسه على ما ذا؟ ومتى؟ وعلى أي شيء؟
حتّم على كل ذي عزم آمن بالله واليوم الآخر أن لا يغفل عن محاسبة
نفسه والتضييق عليها في حركاته وسكناتها وخطراتها؛ فإن كل نفس من
أنفاس العمر جوهرة لا عوض لها.

قال الحسن البصري:

المؤمن قوَّام على نفسه، يحاسب نفسه.

وقال: إن المؤمن يفجأه الشيء يعجبه، فيقول: والله إنني لأشتهيك وإنك
لمن حاجتي، ولكن والله ما من حيلة إليك، هيهات حيل بيني وبينك، ويفرط
منه الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول: ما أردت إلى هذا؟ مالي ولهذا؟ والله لا
أعود إلى هذا أبداً إن شاء الله تعالى.

واعلم: أن العبد كما ينبغي أن يكون له وقت في أول النهار يشارط
فيه نفسه، كذلك ينبغي أن يكون له ساعة يطالب فيها نفسه في آخر النهار،
ويحاسبها على جميع ما كان منها، كما يفعل التجار في الدنيا مع الشركاء
في آخر كل سنة أو شهر أو يوم، ومعنى المحاسبة أن ينظر في رأس
المال، وفي الربح، وفي الخسران ليتبين له الزيادة من النقصان، فرأس
المال في دينه الفرائض، وربحه النوافل والفضائل، وخسرانه المعاصي،
وليحاسبها أولاً على الفرائض، وإن ارتكب معصية اشتغل بعقابها
ومعاقبتها ليستوفي منها ما فرط.

فإذا فرغ العبد من فريضة الصبح، ينبغي أن يفرغ قلبه ساعة
لمشارطة نفسه فيقول للنفس: ما لي بضاعة إلا العمر فإذا فني رأس المال
وقع اليأس في التجارة، وطلب الربح وهذا اليوم الجديد قد أمهلني الله فيه،

وأخّر أجلي وأنعم عليّ به، ولو توفاني لكنت أتمنى أن يرجعني إلى الدنيا حتى أعمل فيه صالحًا، فاحسبي يا نفس أنك قد توفيت ثم رددت، فإياك إياك أن تضيعي هذا اليوم⁽³⁷⁾.

فعلى العاقل أن يحاسب نفسه على جميع الأقوال والأعمال والأوقات وأذكر هنا أمثلة على ميادين محاسبة العبد نفسه:

في الواجبات والفرائض:

فرض الله فرائض وحدّ حدودًا فيعمل العبد هذه الفرائض ويقف عند هذه الحدود؛ كالصلاة والزكاة والصوم والحج وبر الوالدين وصلة الأرحام، وواجباته تجاه إخوانه المسلمين، الأمر بالمعروف ونهيها، يحاسبها قبل العمل لتجديد النية واستحضار أهمية العمل وعظم الأجر فيه، ويحاسبها بعد العمل ليتبين له الإحسان من التقصير؛ إن قصر في الطاعة فيتوب ويؤوب ويرجع، وإن كان قد أحسن فيحمد الله ويسأله المزيد. والمحاسبة على الفرائض أهم شيء يحاسب العبد نفسه فيها.

في النوافل والمستحبات:

يحاسب نفسه على ما يفعله منها قبل العمل وبعده .. وهل تجرد لله؟ وهل الفعل أفضل أم الترك؟ وكذا المحاسبة على الأفعال المباحة، وكذا المحاسبة على ترك المحظورات.

المحاسبة على الوقت وتنظيمه .. وهذا الذي ورد به الحديث «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه» الحديث⁽³⁸⁾.

وهنا يأتي التنبيه على أمور:

1- استغلال المواسم والمناسبات اليومية والأسبوعية، والشهرية والسنوية.

⁽³⁷⁾ مختصر منهاج القاصدين ص 473، 476 بتصرف.

⁽³⁸⁾ سبق تخريجه.

- 2- استغلال الأوقات الفاضلة.
 - 3- توزيع الواجبات على الأوقات.
 - 4- عدم تأخير أعمال اليوم إلى الغد.
 - 5- استغلال الصحة والقوة.
- المحاسبة على الحواس والجوارح كالعين والسمع والأذن واللسان واليد والرجل والتفكير والتخطيط والقراءة.**
- محاسبة العبد نفسه على مهمته التربوية والاجتماعية كحاله مع والديه وعلاقته بهما، ومع أسرته وأولاده وتربيته لهم، ومع أقاربه وجيرانه وأصدقائه والآخرين بعامة.**

* * *

ومن وجه آخر ينبغي أن يعلم أن محاسبة النفس نوعان: نوع قبل العمل ونوع بعده.

أما النوع الأول: فهو أن يقف عند أول همّه وإرادته، ولا يبادر بالعمل حتى يتبين له رجحانه على تركه.

قال الحسن :: رحم الله عبداً وقف عند همه، فإن كان الله أمضاه وإن كان لغيره تأخر.

والنوع الثاني: محاسبة النفس بعد العمل وهو ثلاثة أنواع:

أحدها: محاسبتها على طاعة قصرت فيها من حق الله تعالى فلم توقعها على الوجه الذي ينبغي، **وحق الله في الطاعة ستة أمور هي:** الإخلاص في العمل، والنصيحة لله فيه، ومتابعة الرسول غ، وشهود مشهد الإحسان، وشهود منة الله عليه، وشهود تقصيره فيه بعد ذلك كله.

فيحاسب نفسه هل وفى هذه المقامات حقها؟ وهل أتى بها في هذه الطاعة؟

الثاني: أن يحاسب نفسه على كل عمل كان تركه خيراً له من فعله.

الثالث: أن يحاسب نفسه على أمر مباح لم فعله؟! وهل أراد به الله تعالى والدار الآخرة، فيكون رابحاً أو أراد به الدنيا وعاجلها، فيخسر ذلك الربح ويفوته الظفر به، وجماع ذلك أن يحاسب نفسه أولاً على الفرائض، فإن تذكر فيها نقصاً تداركه إما بقضاء أو إصلاح، ثم يحاسبها على المناهي فإن عرف أنه ارتكب منها شيئاً تداركه بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية.

ثم يحاسب نفسه على الغفلة؛ فإن كان قد غفل عما خُلق له تداركه بالذكر والإقبال على الله تعالى، ثم يحاسبها بما تكلم به، أو مشى به رجلاه أو بطشت يده أو سمعته أذناه، ماذا أردت بهذا ولم فعلته ولمن فعلته، وعلى أي وجه فعلته؟ لكل حركة وكلمة ديوانان: لمن فعلته؟ وكيف فعلته؟

فالأول سؤال عن الإخلاص، والثاني سؤال عن المتابعة⁽³⁹⁾.

وهكذا يتبين لنا أن ميادين المحاسبة كثيرة، فعلى المسلم أن يتأملها ويوقف نفسه ويصارعها بكل جرأة وإقبال حتى يصل إلى الغاية المنشودة التي يريدها ويسعى لتحقيقها.

وهنا أقترح أن يضع الإنسان لنفسه برنامجاً يحاسب فيه نفسه، يتضمن هذا البرنامج الخطوات الآتية:

- 1- في هذا اليوم يخطط ليومه القادم أو لغده ويوزع عليه أعماله.
- 2- في نهاية يومه، ينظر ماذا أنتج وقدم:
- هل أدى الصلوات جماعة في المسجد؟
- هل أتى بالواجبات الأخرى كبر الوالدين؟
- هل وصل رحمًا في هذا اليوم؟
- هل تصدق بشيء من ماله؟
- هل قام بوظيفته خير قيام؟
- هل عمل نفعًا للآخرين كصدقة أو بر أو إحسان؟

³⁹() تزكية النفوس 76-79 بتصرف.

- هل قام بواجباته الأسرية من حقوق الزوجة والأولاد؟

- ما الأخطاء التي وقع فيها هذا اليوم؟

وهكذا فإن وجد خيرًا فليحمد الله، ويسأله المزيد، وإن وجد غير ذلك يتوب ويعزم ويحاول أن يعوّض، وهكذا البرنامج الأسبوعي، تكون أسئلة أعم من ذلك .. مثلاً:

- ما هو مقدار ما قرأ من القرآن الكريم؟

- هل أتى بالأذكار اليومية؟

- هل قرأ من العلم النافع؟

- هل أدى الواجبات الأسرية؟

- هل استفاد من يوم الجمعة واستغله كما ينبغي؟

وهكذا يكون الحال مع البرنامج الشهري، والسنوي أيضًا، فإن من يقوم بذلك يصبح الأمر يسيرًا عليه، وسوف يؤدي ولا ريب إلى نتائج باهرة في الدنيا والآخرة بإذن الله.

الوقفه التاسعة :

الآثار السلبية لعدم "حاسبة"

قد يلهو الإنسان ويسهو ويغفل وينشغل ويتشاغل وتغره نفسه وشيطانه فيترك المحاسبة ويستمر في لهوه وانشغاله وحينئذ تورث له هذه الغفلة وذاك التغافل والتناسي آثاراً سلبية، أذكر بعضها باختصار:

1- **الاستمرار في المعصية:** فإذا ترك الإنسان نفسه دون أن يوقفها فيسألها عما فعلت وقدمت في هذه الحياة الدنيا فإنه ولا شك سوف يظل ماشياً في طريقه على ما هو عليه من ذلك. والنفس إن لم ينتبه لها صاحبها تستمر على معصيتها، فيزداد الإثم، ويزداد الران على القلوب ويسيطر عليها.

2- **الغفلة أو التغافل:** عدم المحاسبة للنفس دليل الغفلة ويؤدي إلى الغفلة وتعميقها، فيفوته من المصالح الشيء الكثير، ويحصل له من السلبيات ما لا يحصى، ويكفيه أن يجعل من الغافلين.

3- **تراكم الأخطاء:** وهذا حاصل ما سبق من الأعمال، فهو مع مضيه في الحياة وغفلته عن نفسه ومحاسبتها تتراكم الأخطاء عليه ولا شك، وذلك نتيجة غفلته واستمراره في معصيته.

4- **عدم التصحيح للفعل:** إذ بدون المحاسبة يظل العبد سائراً على ما هو عليه، من خطأ، وبالتالي فلن يقف مع نفسه للتصحيح والتعديل والتصويب، فكل بني آدم خطأ، فإن لم يحاسبوا أنفسهم لم يصححوا أخطاءهم ولم يصوبوا أفعالهم.

5- **التفريط في الأعمال:** لأن من طبيعة الإنسان النسيان والغفلة فيفوته مصالح كثيرة، فإن لم يحاسب نفسه وقع في فوات كثير من الأعمال الصالحة التي تدخر عند الله سبحانه وتعالى؛ لأن الإنسان مع تصحيح أفعاله وسلوكه قد يقع فريسة هوى أو شهوة أو شبهة فينزلق في

المخاطر والمهالك، فإذا حاسب نفسه أنقذها وألجمها بلجام الشرع وقادها إلى الحق وألزمها فيه.

6- **التفريط في المناسبات الشرعية:** وهذا من أعظم الآثار السلبية لعدم المحاسبة، لأن العبد عند التقصير وتقويت مواسم الخيرات لن يسترجع ويستدرك ما فاتته بدون المحاسبة.

والله جل وعلا قد أكرم هذه الأمة بمناسبات عظيمة مثل شهر رمضان وعشر ذي الحجة والحج ويوم الجمعة وآخر كل ليلة، وغيرها من الأزمنة أو الأمكنة مما يجدر بالإنسان المسلم العاقل أن يستغلها، فإن لم يحاسب نفسه فاتته هذه المناسبات التي تضاعف فيها الأجور وتكفر فيها السيئات.

7- **السير على جهل وهوى وفي ظل الشهوات والشبهات.**

8- **سهولة إغواء الشيطان:** وهذا واضح إن لم يتدارك نفسه بحمايتها، والشيطان حاضر ومعركته مع الإنسان مستمرة، فإذا غفل تسلط عليه أما إذا حاسب نفسه فقواها ومنتها هرب منه.

9- **تراكم الأعمال وعدم إنجازها:** وهذا نتيجة عملية من عدم التنبه من الإنسان إلى حاله فتتراكم عليه الواجبات والأعمال ومن ثم لا يستطيع إنجازها، فيفاجئه الأجل فيندم ولات حين مندم.

10- **الرؤية غير السليمة والغش في الرؤية تجاه كثير من الأمور:** والمقصود بذلك أن العبد إذا لم يحاسب نفسه تبادت في أوضاعها وحالها، فإذا أراد أن يتبصر بأمر من الأمور لم يتضح له سواء كانت هذه الأمور خاصة له أو عامة للأمة ويريد أن يعرف الحق فيها، ويظهر هذا بوضوح في حالة تكالب الأعمال على الإنسان وتكاثرها أو في الفتن العامة على الأمة.

11- **الانشغال عن ميادين صالحة:** وهذا محصله ما سبق في 1، 2، 3، وما بعدها فيفوته من أعظم العبادات القلبية كالصبر والشكر التي ترفع العبد في مقامات عليا في الدنيا والآخرة.

12- **المحاسبة العسيرة أو شدة الحساب يوم القيامة:** لأن من أهمل

محاسبة نفسه في الدنيا اشتد عليه الحساب في الآخرة، وقد مر معنا كثير من النصوص وأقوال السلف في توضيح هذا الأمر، ولو لم يكن إلا هو من الآثار السلبية لكفى فكيف باجتماع تلك الآثار الخطيرة؟!

13- **الندم يوم لا ينفع الندم:** وهذا تابع لما قبله فيأتي عند الموت وبعد الموت ليندم فلا ينفعه ندمه لأنه أهمل نفسه وترك لها الزمام ولم يعسفها على الخير والهدى فأردته المهالك.

هذه نماذج من الآثار وواحد منها كافٍ لبيان أهمية المحاسبة فكيف باجتماعها، فحري بالمسلم الذي يريد النصح لنفسه أن يحاسبها على ميادينها المتعددة التي سبق ذكرها.

الوقفه العاشرة :

الوسائل المعينة على حاسبة

لا شك أن المحاسبة عمل إيجابي مثمر .. فكيف نحياها في أنفسنا، ونواظب عليها، وتصبح أمراً مألوفاً في حياتنا.

هناك جملة من الوسائل المعينة على ذلك .. أجمالها فيما يأتي:

1- التخطيط ووضع البرنامج لهذه المحاسبة، فله أثر كبير في تصور الموضوع.

فلكي تتفاعل مع الموضوع، أي موضوع، لا بد وأن تتصوره وتدرك أهميته ونتائجه.. فإن كان الموضوع تجارياً أن تحسب حساب هذه التجارة والربح والخسارة، ولكي يكون المشروع ناجحاً لا بد وأن تحسن التخطيط، فعليك بجودة التخطيط ليقوم البنيان عظيمًا قوياً؛ وذلك مثل تلك الأسئلة التي سبق ذكرها فتصيغها بحسب وضعك ثم تناقش نفسك فيها، فمع التخطيط ووضع البرنامج يكون الأمر سهلاً وميسوراً.

2- تزكية النفس وتهذيبها بالمحافظة على العبادات الشرعية وجوبها ونفلها .. وهذه أولى الدرجات.

فعليك بتطهير النفس بادئ ذي بدء بأداء الفرائض ثم النوافل والمستحبات، وترتقي بنفسك حتى تسرح بها في الدرجات العلى، وتصبح روحك شفافة حساسة تتمتع بعُسيلة الإيمان. وهذا من أكبر العوامل المعينة على تلك المحاسبة؛ لأن أهم عمل واجب عليك هو ما افترضه الله عليك، وما قام عبد بذلك وحافظ عليه إلا أعين على ما سواه.

3- الداء لئلاً ونهاراً باستمرار مهما تكاسل الإنسان وتخاذل .. وهذا سلاح عظيم وسهم لا يخيب.

والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة وعظيمة، (يَنْتَبِهُتُنَّ)

ثُذُثْ ([غافر:60]. فَعُدَّ الدعاء عبادة من استكبر عن أدائها استحق الوعيد، فهو باب عظيم يستوجب عليك طريقه، وحري بمن أطال الطروق والوقوف أن يفتح له.

ولئن رددت فأني باب أقرع	ما لي سوى قرعي لبابك حيلة
إن كان فضلك عن فقيرك يمنع	ومن الذي أدعو وأهتف باسمه
فأفضل أجزل والمواهب	حاشا لجودك أن يقتط عاصيا
أوسع	ثم الصلاة على النبي وآله
خير الأنام ومن به يتشفع	

قال ابن الجوزي :: ينبغي للعاقل أن يلزم باب مولاه على كل حال، وليكن له أنس في خلوته به، فإن وقعت وحشة فليجتهد في رفع الموحش، ومن كان هكذا كان في العيش الرغد غير أن من ضرورة هذه الحال ملازمة التقوى، فإنه لا يصلح الأنس إلا بها⁽⁴⁰⁾.

ولا شك أن الدعاء من أنفع الوسائل وأنجع الأساليب للحصول على أي شيء يريده الإنسان مع عمل الأسباب، فالحج على الله تعالى بالدعاء يبسر لك ما عسر على غيرك.

4- كثرة الحمد والشكر لله عز وجل .. وهي من مهمات الأمور، ومن أعظم العبادات التي يحبها الله جل وعلا، يحب من عبده أن يحمده ويشكره على كل صغير وكبير قولاً وفعلاً، وإذا نظرت إلى سيرة الرسول غ تجد ذلك جلياً في سيرته غ فقد كان أعظم الشاكرين. والمحاسبة تحتاج إلى ذلك، فمن حمد الله وشكره لم يخب مراده، وتيسر له أموره.

5- العلم النافع.. فيه تسمو الأرواح وتعلو، ويتقرب به العبد إلى الله تعالى، فهو من أعظم القربات وأجل العبادات، وهو طريق رفع الجهل عن النفس، وبه يعبد الله على بصيرة، ومن حمل العلم تبصر بالمحاسبة واتضحت له وسهلت عليه وعرف طرقها وأساليبها.

6- التدرج في التطبيق كالمحاسبة اليومية أولاً لفترة من الزمن ثم أسبوعية ثم شهرية، وهكذا تدرج بنفسك واصعد بها سلم المحاسبة درجة

⁴⁰(1) صيد الخاطر 125، 126 بتصرف.

درجة حتى لا تهوي منك إلى القاع أو تتمرد عليك، فهي بطبيعتها أبية تحتاج إلى سياسة حكيمة.

7- استغلال المناسبات الكبرى، كرمضان والحج، ونهاية العام والمناسبات الأخرى كالجمعة.. فعليك باستثمار هذه الفرص وتلك المناسبات للمحاسبة⁽⁴¹⁾. فهي من أعظم الوسائل وأنفعها ولو لم تحاسب نفسك إلا فيها لكانت مؤدية للغرض وموصلة إلى ما تطمح إليه النفس بإذن الله تعالى.

8- اختيار الصحبة الخيرة .. فالمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه وضعيف بنفسه قوي بإخوانه، فأنت إن أحسنت اختيار الصحبة كانت لك عوناً على نفسك.

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يهتدي
فإن كانت الصحبة طيبة أعانتك على سبل الخير، ومنها محاسبة لنفسك وتفتيشك عليها، وتصحيح أخطائك ومشارك في هذه الحياة.

9- الخلوة بالله تعالى والعمل الخاص بينك وبينه، فإن هذا أدعى للخشوع واستشعار المراقبة، وأعظم منزلة وأجرًا عند الله جل وعلا وأكثر عوناً على الملمات والصعوبات وطريق للمصارحة والمكاشفة مع النفس.

والمراقبة هي دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه، فاستدامته لهذا العلم واليقين هي «المراقبة» وهي ثمرة علمه بأن الله سبحانه رقيب عليه، ناظر إليه، سامع لقوله، وهو مطلع على عمله كل وقت، وكل لحظة، وكل نفس وكل طرفة عين، فإن للإيمان حلاوة من لم يذقها فليرجع وليقتبس نوراً يجد به حلاوة الإيمان⁽⁴²⁾.

10- التأمل في كتاب الله تعالى .. وقد جاءت الدعوة للتفكير والتدبر في غير ما موضع في كتاب الله:

«أفلا يتدبرون» «أفلا يتفكرون» «لعلكم تعقلون» وهي من أبرز

⁽⁴¹⁾ ينظر مختصر منهاج القاصدين ص 495.

⁽⁴²⁾ (1) بغية القاصدين من كتاب مدارج السالكين ص 160.

⁴⁶(1) ينظر مختصر منهاج القاصدين ص 496.

الهمة سوف تحاسب نفسك على تقصيرها ولا شك⁽⁴⁷⁾؛ فلتحاول الرقي إلى الدرجات العلى.

15- إلزام النفس وقهرها على البرنامج اليومي، لأنك إن تركت نفسك وما تشتهي قادتك إلى الهلاك.. فالزمها مثلاً بحفظ كتاب الله وقراءته يومياً، وستجد ثمرة ذلك على نفسك ولو بعد حين، كذا غيره من الأعمال مما تطيقه.

16- اجتناب مجالس اللهو والعبث .. فالعمر أثمن من أن يضيع سدى في تلك المجالس العابثة المضيعة للوقت والعمر، والذي ستحاسب عليه: «عن شبابك وعن عمرك»، فهل ستكون إجابتك: بأنني قضيت وقتي في اللهو والعبث وأمام المسلسلات والمغريات والمحرمات، إنها إجابة صعبة فتدرك نفسك قبل الوقوع في الهاوية.

17- تنمية الموهبة التي رزقك الله تعالى إياها، فكل إنسان أنعم الله عليه بموهبة، فإذا استغلها ونماها أثمرت ثماراً يانعة، وأعانتة على الرقي والمواصلة في سبل الخير، فمثلاً أنت تهوى القراءة فضع لك برنامجاً في هذا الميدان وواصل فيه واعرف ماذا تقرأ وكيف تقرأ، فما هو إلا زمن يسير وتصبح من كبار القراء والكتاب، وهكذا يقال لصاحب الموهبة الهندسية والفنية..

18- تذكر عقوبات الإهمال، فإذا أهملت في حياتك وقصرت في العبادة والطاعة أو ارتكبت المنهيات والمكروهات كل هذا تستحق العقوبة فيه بالنار، وكلٌ بحسب تقصيره أو فعله للمنهيات وارتكاب المحظورات، ولكن تذكر دائماً عقوبة الإهمال، فكما تتذكرها في إهمال أمور الدنيا تذكرها في أمور الآخرة، ومن ثم ستحاسب نفسك حساباً يقودك إلى الفوز والفلاح.

19- المداومة على فعل الخير، كالصدقة والتبرع وتحفيظ القرآن الكريم ونشر الخير ومساعدة الآخرين، ففي ذلك تزكية للنفس وقربة لله تعالى.

⁴⁷(2) ينظر صيد الخاطر ص456، 457 ففيه كلام جيد حول علو الهمة.

20- وأخيراً .. المجاهدة والمغالبة (طُطْطُ) [العنكبوت: 69].

وهذه الوسيلة هي رفيقة الدرب على مدى الأيام والأوقات فأنت بحاجة لها في فعل الخير وترك الشر، في القول والعمل، في السر والعلن.

□ ◀ ▶ □

الوقف الحادية عشرة :

معوقات المحاسبة

وبعد ذكر هذه الوسائل أرى أن هناك معوقات للمحاسبة.. فيا ترى ما الذي يجعل الإنسان يهمل محاسبة نفسه، أو لا يقوم بها؟

ومن المعوقات ما يكون في داخل الإنسان، ومنها ما هو خارجه، والإنسان يعيش في هذه الدنيا في صراع دائم، وسيظل ممتدداً مستمراً حتى يبلغ الأمان في الآخرة، (چچیدئ) [البلد: 4] وهذا هو وصف رب العباد لحال العباد، فكل إنسان مخلوق في كبد، ولا تنس أيها المؤمن عدوك في هذه الحياة الذي وعد رب الأرباب بالمعاداة لبني الإنسان حتى قيام الساعة، فكيف بك وقد عرفت أن هناك عدواً يتربص بك ويطاردك بكل ما أوتي من قوة وقد نصب كل الشراك للإيقاع بك، وأنت طريد لا ملجأ لك إلا مكان واحد تصل إليه فلا يكاد يصلك وهذا هو الأمان الأخروي.

وأرى أن من أهم وأبرز المعوقات ما يأتي:

1- **الميل مع الشهوات النفسية**، ولو كانت مباحة. فتعيش النفس مع شهواتها ورغباتها، فتتنسى وتلهو حتى تقع في المحذور وتغفل عن الله تعالى.

2- **التسويق**، ف «سوف» من جنود إبليس، وسبب طول الأمل والتسويق أمران:

أحدهما: حب الدنيا، والثاني: الجهل.

وأكثر صياح أهل النار من «سوف» وأصل هذه الأمانى كلها حب الدنيا والأنس بها، والغفلة عما يؤثر من القول مثل: «أحبب من شئت فإنك مفارقه»⁽⁴⁸⁾.

الثاني: الجهل، وهو أن الإنسان يعول على شبابه ويستبعد قرب الموت مع الشباب.

أو ليس يتفكر المسكين في أن مشايخ بلده لو عُدوا كانوا أقل من العشر؟ وإنما قلوا لأن الموت في الشباب أكثر⁽⁴⁹⁾.

3- الصحبة البطالة .. وهي من أهم وأخطر المعوقات؛

إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أي مفسدة

فكما أن الصحبة الصالحة من أهم وسائل النجاة فكذلك الصحبة البطالة من أهم المعوقات وأسباب الهلاك.

4- الإقتصار في الأعمال الإيجابية على الواجبات فقط، وهذا قصور ودناءة في الهمة فأنت ولا شك مقصر في الواجبات، فلو اكتفيت بها كانت صحائفك خفيفة في الميزان بالصلحات، ولذا أرشد الرسول غ إلى كثرة النوافل، لأنها مكملة للقصور الحاصل في الواجبات وتزيد في الحسنات وتكفر السيئات.

5- الجهل وعدم العلم .. فكيف بك أن تعرف الصواب وأنت على جهل، ولم تحرص على طلب العلم. والجهل ظلام دامس وسم قاتل وسبب للشقاء وموصل إلى الهلاك وطريق إلى الضلال، فلا شك أنه من أعظم المعوقات، فعلى المسلم أن يتخلص منه ولو بالسؤال والمناقشة.

6- أكل الحرام والتجروء عليه، وهو من أعظم المهلكات وأسباب العقوبة في الدنيا والآخرة، والحرام يذهب بالحلال .. فاعتبر.

7- الشيطان وهو العدو الأكبر للإنسان فانظر كيف تحارب عدوك؟ وقد أعلن العداء لك، وأقسم أن يغويك وأن يجعلك في حزبه إلا من تحصن عنه فكن من هؤلاء المتحصنين فلا يغرك ويرديك المهالك.

⁽⁴⁸⁾ (1) الترغيب والترهيب 1/294.

⁽⁴⁹⁾ (2) مختصر منهاج القاصدين ص 493-494 بتصرف.

8- الانشغال بالدنيا وكثرة التفكير فيها، ومعنى هذا أنها ستمتلك عليك الفؤاد، فإذا تملك حب الدنيا والانشغال بها فؤادك، فكيف يكون للآخرة والإيمان نصيب فيه.

إن من نظر إلى الدنيا بعين البصيرة أيقن أن نعيمها ابتلاء وحياتها عناء وعيشها نكد، وصفوها كدر، وأهلها منها على وجل إما بنعمة زائلة أو بليّة نازلة أو منية قاضية.

مسكينٌ من اطمأن ورضي بدار حلّائها حساب، وحرّامها عقاب، إن أخذ من حلال حوسب عليه، وإن أخذ من حرام عُذّب به، من استغنى في الدنيا فُتِن، ومن افتقر فيها حزن، من أحبّها أدلته ومن التفت إليها ونظرها أعمته⁽⁵⁰⁾.

9- ترك المجاهدة لأنك إن تركت مجاهدة النفس قادتك ولم تقدها، وإذا ما قادتك نفسك الأمانة .. فأين تكون؟ لا شك أنه للسوء.

أعانني الله تعالى وإياك وكل مسلم ومسلمة على مجاهدة أنفسنا ومحاسبتها وبيسر لنا ذلك، وجعل عاقبتنا كلها إلى خير، إنه سميع قريب.

□◀ ▶□

⁵⁰(1) موارد الظمآن لدروس الزمان 2/194.

⁵³ () أخرجه البخاري برقم (2067) في البيوع، باب من أحب البسط في الرزق، ومسلم برقم

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ غ قَالَ: «تَعْلَمُوا مِنْ أُنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ، فَإِنَّ صَلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي الْأَهْلِ مَثْرَاءٌ فِي الْمَالِ مَنْسَأَةٌ فِي الْأَثَرِ» قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَمَعْنَى قَوْلِهِ: مَنْسَأَةٌ فِي الْأَثَرِ يَعْنِي بِهِ الزِّيَادَةَ فِي الْعُمُرِ (54).

ومعنى الزيادة في العمر قد يكون حسيا وقد يكون معنويا، قال النووي في شرح حديث أنس أ: قوله غ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» «يُنْسَأُ» مَهْمُوزٌ أَيْ يُؤَخَّرُ. وَ«الْأَثَرُ» الْأَجَلُ، لِأَنَّهُ تَابِعٌ لِلْحَيَاةِ فِي أَثَرِهَا. وَ«بَسَطَ الرِّزْقُ» تَوَسَّعَهُ وَكَثَّرَتْهُ، وَقِيلَ: الْبَرَكَهُ فِيهِ. وَأَمَّا التَّأْخِيرُ فِي الْأَجَلِ فَفِيهِ سُؤَالٌ مَشْهُورٌ، وَهُوَ أَنَّ الْأَجَالَ وَالْأَرْزَاقَ مُقَدَّرَةٌ لَا تَزِيدُ وَلَا تَنْقُصُ (تَذْكُرُهُ هَاهُنَا ه) [الأعراف: 34] وَأَجَابَ الْعُلَمَاءُ بِأَجُوبَةٍ؛ الصَّحِيحُ مِنْهَا أَنَّ هَذِهِ الزِّيَادَةَ بِالْبَرَكَهُ فِي عُمُرِهِ، وَالتَّوْفِيقِ لِلطَّاعَاتِ، وَعِمَارَةِ أَوْقَاتِهِ بِمَا يَنْفَعُهُ فِي الْآخِرَةِ، وَصَيَانَتِهَا عَنِ الضِّيَاعِ فِي غَيْرِ ذَلِكَ. وَالثَّانِي أَنَّهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا يَظْهَرُ لِلْمَلَائِكَةِ وَفِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَيَظْهَرُ لَهُمْ فِي اللُّوحِ أَنَّ عُمُرَهُ سِتُّونَ سَنَةً إِلَّا أَنْ يَصِلَ رَحِمَهُ فَإِنْ وَصَلَهَا زِيدَ لَهُ أَرْبَعُونَ، وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَا سَيَقَعُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ مِنْ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: (كَذُؤُؤْ) [الرعد: 39] فَبِالنِّسْبَةِ إِلَى عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَا سَبَقَ بِهِ قَدْرَهُ وَلَا زِيَادَةَ بَلْ هِيَ مُسْتَحِيلَةٌ، وَبِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا ظَهَرَ لِلْمَخْلُوقِينَ تُتَصَوَّرُ الزِّيَادَةُ، وَهُوَ مُرَادُ الْحَدِيثِ. وَالثَّلَاثُ أَنَّ الْمُرَادَ بَقَاءَ ذِكْرِهِ الْجَمِيلِ بَعْدَهُ، فَكَأَنَّهُ لَمْ يَمُتْ. حَكَاهُ الْقَاضِي، وَهُوَ ضَعِيفٌ أَوْ بَاطِلٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

فَتَأْخِيرُ الْأَجَلِ بِالصِّلَةِ إِمَّا بِمَعْنَى حُصُولِ الْبَرَكَهُ وَالتَّوْفِيقِ فِي الْعُمُرِ وَعَدَمِ ضَيَاعِ الْعُمُرِ، فَكَأَنَّهُ زَادَ، أَوْ بِمَعْنَى أَنَّهُ سَبَبٌ لِبَقَاءِ ذِكْرِهِ الْجَمِيلِ بَعْدَهُ، وَلَا مَانِعَ أَنَّهَا سَبَبٌ لَزِيَادَةِ الْعُمُرِ كَسَائِرِ أَسْبَابِ الْعَالَمِ، فَمَنْ أَرَادَ اللَّهُ زِيَادَةَ عُمُرِهِ وَفَقَّهُ بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ وَالزِّيَادَةَ إِنَّمَا هِيَ بِحَسَبِ الظَّاهِرِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْخَلْقِ، وَأَمَّا فِي عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى فَلَا زِيَادَةَ وَلَا نُقْصَانَ وَهُوَ وَجْهُ الْجَمْعِ بَيْنَ

(2557) في البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطعها.

⁵⁴ () أخرجه الترمذي برقم (1979) في البر والصلة، باب ما جاء في تعليم النسب .

هذا الحديث و يَبَيِّنُ قَوْلَهُ غ: «جَفَّ الْقَلَمُ عَلَى عِلْمِ اللَّهِ» (55). أو «جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا أَنْتَ لَاقٍ» (56).

وفي شرح هذا الحديث كلام نفيس للشيخ المباركفوري، قال :: قَوْلُهُ: «لَا يَرُدُّ الْقَضَاءُ إِلَّا الدُّعَاءُ» الْقَضَاءُ هُوَ الْأَمْرُ الْمُقَدَّرُ وَتَأْوِيلُ الْحَدِيثِ: أَنَّهُ إِنْ أَرَادَ بِالْقَضَاءِ مَا يَخَافُهُ الْعَبْدُ مِنْ نُزُولِ الْمَكْرُوهِ بِهِ وَيَتَوَقَّاهُ فَإِذَا وَفَّقَ لِلدُّعَاءِ دَفَعَهُ اللَّهُ، عَنْهُ فَتَسْمِيَّتُهُ قَضَاءً مَجَازٌ عَلَى حَسَبِ مَا يَعْتَقِدُهُ الْمُتَوَقِّى عَنْهُ، يُوَضِّحُهُ قَوْلُهُ غ فِي الرَّقَى: «هُوَ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ». وَقَدْ أَمَرَ بِالتَّذَاوِي وَالدُّعَاءِ مَعَ أَنَّ الْمَقْدُورَ كَائِنْ لِحِفَائِهِ عَلَى النَّاسِ وَجُودًا وَعَدَمًا، وَلَمَّا بَلَغَ عُمُرُ الشَّامِ وَقِيلَ لَهُ: إِنَّ بِهَا طَاعُونًا رَجَعَ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: أَتَفِرُّ مِنَ الْقَضَاءِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ: لَوْ غَيْرَكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ!! نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ إِلَى قَضَاءِ اللَّهِ. أَوْ أَرَادَ بِرَدِّ الْقَضَاءِ إِنْ كَانَ الْمُرَادُ حَقِيقَتُهُ تَهْوِينُهُ وَتَيْسِيرُ الْأَمْرِ حَتَّى كَأَنَّهُ لَمْ يَنْزَلْ، يُؤَيِّدُهُ مَا أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزَلْ. وَقِيلَ: الدُّعَاءُ كَالْتَّرْسِ وَالْبَلَاءُ كَالسَّهْمِ وَالْقَضَاءُ أَمْرٌ مِنْهُمْ مُقَدَّرٌ فِي الْأَرْزَلِ.

⁵⁵) أخرجه الترمذي برقم (2642) في الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة.

⁵⁷ () أخرجه الترمذي برقم (2139) في القدر، باب ما جاء لا يرد القدر إلا الدعاء

برقم (90) في المقدمة، باب في القدر.

مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ إِنَّهُ إِذَا بَرَّ لَا يَضِيعُ عُمرُهُ فَكَأَنَّهُ زَادَ. وَقِيلَ قَدَّرَ أَعْمَالَ الْبِرِّ سَبَبًا لِطُولِ الْعُمُرِ كَمَا قَدَّرَ الدُّعَاءُ سَبَبًا لِرَدِّ الْبَلَاءِ. فَالدُّعَاءُ لِلْوَالِدَيْنِ وَبَقِيَّةِ الْأَرْحَامِ يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِمَّا بِمَعْنَى أَنَّهُ يُبَارَكُ لَهُ فِي عُمرِهِ فَيُيسَّرُ لَهُ فِي الزَّمَنِ الْقَلِيلِ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ مَا لَا يَتَّيَسَّرُ لِغَيْرِهِ مِنَ الْعَمَلِ الْكَثِيرِ، فَالزِّيَادَةُ مَجَازِيَّةٌ لِأَنَّهُ يَسْتَحِيلُ فِي الْأَجَالِ الزِّيَادَةُ الْحَقِيقِيَّةُ. قَالَ الطَّبِيبِيُّ: اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا عَلِمَ أَنَّ زَيْدًا يَمُوتُ سَنَةً خَمْسِمِائَةً اسْتَحَالَ أَنْ يَمُوتَ قَبْلَهَا أَوْ بَعْدَهَا، فَاسْتَحَالَ أَنْ تَكُونَ الْأَجَالُ الَّتِي عَلَيْهَا عَلِمَ اللَّهُ تَزِيدُ أَوْ تَنْقُصُ، فَتَعَيَّنَ تَأْوِيلُ الزِّيَادَةِ أَنَّهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَلَكِ الْمَوْتِ أَوْ غَيْرِهِ مِمَّنْ وَكَّلَ بِقَبْضِ الْأَرْوَاحِ وَأَمْرَهُ بِالْقَبْضِ بَعْدَ أَجَالٍ مَحْدُودَةٍ، فَإِنَّهُ تَعَالَى بَعْدَ أَنْ يَأْمُرَهُ بِذَلِكَ أَوْ يُثَبِّتَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ يَنْقُصُ مِنْهُ أَوْ يَزِيدُ عَلَى مَا سَبَقَ عِلْمُهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ بِمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: (كَذُوُّوْوُوْوُ) [الرعد: 39] وَعَلَى مَا ذَكَرَ يُحْمَلُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ (ثُمَّ تَذْفَقُ) [الأنعام: 2] فَالْإِشَارَةُ بِالْأَجَلِ الْأَوَّلِ إِلَى مَا فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ وَمَا عِنْدَ مَلَكِ الْمَوْتِ وَأَعْوَانِهِ، وَبِالْأَجَلِ الثَّانِي إِلَى مَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَوُوْ) [الرعد: 39]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (كُوُوُوْوُ) [يونس: 49]. وَالْحَاصِلُ أَنَّ الْقَضَاءَ الْمُعَلَّقَ يَتَغَيَّرُ، وَأَمَّا الْقَضَاءُ الْمُبْرَمُ فَلَا يُبَدَّلُ وَلَا يُغَيَّرُ، إِنَّتَهَى.

3- ومن أهم ما يطيل عمر الإنسان معنويا هو حسناته، وخاصة الحسنات المتعدي نفعها لغيره، والبر المذكور في الحديث المذكور يشمل جميع أنواع البر، فعلى المسلم أن يحرص على يزيد في ميزانه الحسنات، وعلى الأخص الحسنات التي تنفع الآخرين، وبذلك ينال رضاهم ودعوتهم بظهر الغيب، ودعوة المسلم لأخيه المسلم بظهر الغيب مجابة، فقد روى مسلم عن أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ غ: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ وَلَكَ بِمِثْلٍ»⁽⁵⁸⁾. كما عليه أن يدعو لإخوته المسلمين بظهر الغيب ويستغفر لهم ويترحم لهم، لكي يكون له نصيب مما دعا لإخوته المسلمين.

4- ومما يطيل العمر الدعوة إلى الله تعالى للمسلم، فهي مما يجري

⁽⁵⁸⁾ أخرجه مسلم برقم (2732) في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب.

له من الحسنات ما بقي هذا المهتدي على يديه على قيد الحياة ويعمل أعمالاً صالحة، وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ غ قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئاً»⁽⁵⁹⁾.

فلو أن رجلاً واحداً غيّر مسار حياته لكلمة ألقاها أو نصيحة قام بها أو توجيه لمن ضل عن الطريق واهتدى هذا الشخص لهذه الكلمة أو تلك النصيحة وبدأ حياته الجديدة المفعمة بالإيمان والعلم الصالح، فالشخص الذي تسبب لهدايته ينال من الأجر مثل أجره ما دام هذا المهتدي يتنفس.

5- تعليم أمور الدين للجاهل وتعليم القرآن الكريم خاصة مما يطيل عمر المسلم معنوياً لما فيه من حسنات كثيرة وأجر عظيم، فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ غ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لَا أَقُولُ الْم حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلاَمٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ»⁽⁶⁰⁾. فمن علّم غيره تلاوة القرآن الكريم فله حسنات لا تفتنى ولا تنتهي، فكلما تلا هذا الذي تعلم منه التلاوة فللمعلم حسنات مثل حسنات هذا الذي تعلم منه، فأجره لا يقدر قدره إلا الله عز وجل، وهو مما يطيل في عمره المعنوي، وكذلك من علّم غيره الوضوء أو الصلاة أو أمراً من أمور العقيدة وحكام الدين فله أجر من عمل به إلى يوم القيامة، ولا ينقص من أجر هذا الشخص الذي عمل به، وذلك فضل الله يؤفقه لمن يشاء من عباده.

6- تربية الأولاد تربية إسلامية صحيحة مما يزيد في عمر المسلم المعنوي، وذلك أن الأولاد هم أهم كسب الوالدين، وهم الذين سينفعون الأبوين عند كبر سنهما، بل ينفعونهما بعد موتهما إذا أحسنّا تربيتهم، وعلمّاهم العلم النافع، وربّاهم على الأخلاق الفاضلة، فإنهم سوف يدعون لهما بقولهم: (وَوُؤُؤْ) [الإسراء: 24]، وهذه منفعة أي منفعة! منفعة لا تساويها الدنيا بحذافيرها، كما أن دعوة الأولاد في حق الوالدين بعد وفاتهما

⁵⁹ (أخرجه مسلم برقم (2674) في العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة).

⁶⁰ (أخرجه الترمذي برقم (2910) في فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن .

من الأعمال التي لا تنقطع، ففي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ غ قَالَ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ» قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ⁽⁶¹⁾.

قال النووي في شرح الحديث: قَالَ الْعُلَمَاءُ : مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ عَمَلَ الْمَيِّتِ يَنْقَطِعُ بِمَوْتِهِ، وَيَنْقَطِعُ تَجَدُّدُ الْجَوَابِ لَهُ، إِلَّا فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الثَّلَاثَةِ: لِكُونِهِ كَانَ سَبَبُهَا؛ فَإِنَّ الْوَلَدَ مِنْ كَسْبِهِ، وَكَذَلِكَ الْعِلْمُ الَّذِي خَلَفَهُ مِنْ تَعْلِيمٍ أَوْ تَصْنِيفٍ، وَكَذَلِكَ الصَّدَقَةُ الْجَارِيَةُ، وَهِيَ الْوَقْفُ. وَفِيهِ فَضِيلَةُ الزَّوْجِ لِرَجَاءِ وَلَدٍ صَالِحٍ، وَقَدْ سَبَقَ بَيَانُ اخْتِلَافِ أَحْوَالِ النَّاسِ فِيهِ، وَأَوْضَحْنَا ذَلِكَ فِي كِتَابِ النِّكَاحِ. وَفِيهِ دَلِيلٌ لِصِحَّةِ أَصْلِ الْوَقْفِ، وَعَظِيمُ ثَوَابِهِ، وَبَيَانُ فَضِيلَةِ الْعِلْمِ، وَالْحَثُّ عَلَى الْاسْتِكْتَارِ مِنْهُ. وَالنَّزْعُ غِيبٌ فِي تَوْرِيثِهِ بِالتَّعْلِيمِ وَالتَّصْنِيفِ وَالْإِيضَاحِ، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَخْتَارَ مِنَ الْعُلُومِ الْأَنْفَعُ فَلَا أَنْفَعُ. وَفِيهِ أَنَّ الدُّعَاءَ يَصِلُ ثَوَابُهُ إِلَى الْمَيِّتِ، وَكَذَلِكَ الصَّدَقَةُ، وَهُمَا مُجْمَعٌ عَلَيْهِمَا...

7- ومما يطيل عمر المسلم ما يتصدق به من الصدقات الجارية، فمن وقف وقفا ينتفع به المسلمون فهو من الصدقة الجارية التي يؤجر عليها الواقف إلى ما شاء الله تعالى، وقد مر معنا حديث فيه بيان أن عمل ابن آدم ينقطع إلا من ثلاث... الحديث. وفي حديث آخر عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ غ: «إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ: عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ يَلْحَقَهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ»⁽⁶²⁾.

وقد نظم السيوطي مجالات الوقف في الأبيات:

إذا مات ابن آدم ليس يجري	عليه من فعال غير عشر
علوم بثها ودعاء نجل	وغرس النخل والصدقات تجري
وراثه مصحف ورباط ثغر	حفر البئر أو إجراء نهر
وبيت للغريب بناه يأوي	

⁶¹ () أخرجه مسلم برقم (1631) في الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، والترمذي برقم (1376) في الأحكام، باب في الوقف .

⁶² () أخرجه ابن ماجه برقم (242) في المقدمة، باب ثواب معلم الناس الخير .

وتعليم لقرآن كريم إليه أو بناء محل ذكر فخذها من أحاديث بحصر

وأفضل أنواع الصدقات أنفعها وأدومها، وهي الصدقات الجارية، ولا يتأتى هذا إلا إذا كانت تلك الصدقة مضمونة البقاء، تقوم على أساس، وتنشأ من أجل هدف محدد، وترمى إلى غاية شرعية خيرة. ومن أمثلة ما يوقف عليه: دور العلم، والمعاهد الشرعية، وطلبة العلوم الإسلامية القائمين على شريعة الله. والمستشفيات، ودار الأيتام، وفك أسرى المسلمين والمجالات كثيرة متعددة، بل الوقف لإقامة الجامعات والكليات الطبية والهندسية لكي يتخرج منها المسلمون ويقوموا بخدمة وطنهم وأبناء وطنهم.

ومن أنواع الوقف مع شيء من التفصيل:

1- الوقف لبناء المساجد ورعايتها والقيام بشؤونها امتثالاً لقول الله تعالى: (كَجَنَّاتٍ مِّنْ ثَمَرَةٍ تُدْخِلُهَا رَبُّكَ نَارًا كَذِبًا) [التوبة: 18].

وقول النبي غ: «مَنْ بَنَى مَسْجِدًا - قَالَ بُكَيْرٌ حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ - يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ»⁽⁶³⁾.

ومن أجل أن يقوم الإمام والمؤذن بواجبهما على أفضل وأكمل وجه؛ يلحق بالمسجد سكن خاص بالإمام والمؤذن ويعتبر من ضمن مرافق الوقف وملحقاته.

2- الوقف على الجهاد في سبيل الله. قال غ: «مَنْ احْتَبَسَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِيْمَانًا بِاللَّهِ وَتَصَدِيقًا بِوَعْدِهِ فَإِنَّ شِبَعَهُ وَرِيَّهُ وَرَوْثَهُ وَبَوْلَهُ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»⁽⁶⁴⁾. وقد حبس خالد بن الوليد ا درعه وكراعه في

⁶³ () أخرجه البخاري برقم (450) في الصلاة، باب من بنى مسجداً، ومسلم برقم (533) في المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل بناء المساجد والحث عليها.

⁶⁴ () أخرجه البخاري برقم (2853) في الجهاد والسير، باب من احتبس فرسا في سبيل الله.

سبيل الله⁽⁶⁵⁾، كما أن طلحة ا حبس سلاحه وكراعه في سبيل الله⁽⁶⁶⁾.

3- الوقف على المكتبات العامة كإنشائها وإيقاف الكتب الشرعية بها. وقد كانت الأمة الإسلامية تزخر بمثل هذه المكتبات في الشام والعراق والمدينة وغيرها.

4- إنشاء المدارس العلمية التي تكفل التعليم المجاني لأبناء المسلمين.

5- الأوقاف على أعمال الدعوة والدعاة والوعاظ؛ بما في ذلك توفير الرواتب والمواصلات والوسائل الأخرى التي تعينهم على أداء أعمالهم، وطبع الكتب والأشرطة وتوزيعها، وتعليم المسلمين الجدد والجهلة أمور دينهم.

6- الوقف على تطوير البحوث المفيدة والنافعة.

7- إقامة مراكز للمهتدين الجدد في آسيا وأفريقيا مثلاً.

8- الوقف على الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم التي نفع الله بها أبناء وبنات المسلمين.

9- بناء مراكز الأيتام ورعايتهم والعناية بهم.

10- إنشاء المراكز الطبية؛ خاصة ما دعت إليه الحاجة في هذه الأزمنة: كمستشفيات الأمراض النفسية، وعلاج أمراض الكلى والأورام الخبيثة، وعلاج أمراض القلب.

11- تعبيد الطرق وشقها وإنشاء القناطر.

12- حفر الآبار وإجراء الماء وقد قال غ: «من يشتري بئر رومة وأضمن له الجنة»: فاشتراها عثمان ا وجعلها وقفاً دائماً على المسلمين⁽⁶⁷⁾ وقرى المسلمين اليوم تحتاج إلى حفر الآبار، ومد الأنابيب، وتركيب

⁶⁵ (انظر: صحيح البخاري برقم (1468) الزكاة، باب قول الله تعالى: (وفي الرقاب والغارمين...)).

⁶⁶ (انظر: نصب الراية للزيلعي 3/479).

⁶⁷ (انظر: جامع الترمذي، كتاب المناقب، باب في مناقب عثمان بن عفان ا رقم الحديث (3703)، وفي صحيح البخاري تعليقا، كتاب المناقب، باب مناقب عثمان بن عفان).

المضخات.

13- إطعام الجائعين، وقد رأينا بعضهم في حال المجاعة يسقط ميتاً وهو ينتظر في الطابور ليأخذ وجبته من المؤسسات الخيرية.

14- الأوقاف على الدعوة عبر شبكة المعلومات «الإنترنت» وقد رأينا ثمرة الأعمال الدعوية عبر هذه الوسيلة العجيبة.

15- إقامة مصانع لتدريب المسلمين وتعليمهم مهناً صناعية وإنتاجية تنفعهم.

16- الوقف على فك الرقاب، وإعتاق المسجونين الغارمين.. (تذهبهه بهه هه) [البلد: 11- 14].

17- إيقاف الأراضي على المقابر لدفن المسلمين بها.

18- شراء المصاحف وإيقافها في المساجد، في مختلف أنحاء الأرض.

8- ومما يطيل عمر المسلم بعض الأعمال الصالحة التي لا تأخذ وقتاً طويلاً ولكن حسناتها عظيمة، ومن ذلك:

الإكثار من الاستغفار: وكان رسول الله غ يكثر من الاستغفار حتى قال غ: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»⁽⁶⁸⁾ وهو الذي قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وعن عبد الله بن بسرٍ يَقُولُ قَالَ النَّبِيُّ غ: «طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا»⁽⁶⁹⁾.

وهناك أعمال أجرها كبير وثوابها عظيم، وعلى المسلم أن يحرص على هذه الأعمال، وهذه الأعمال تجعل المسلم يشعر أنه قد قام بأعمال جليلة لا يمكن أن يقوم بها الإنسان العادي في عمره القصير، وهذه الأعمال منها ما مضى ذكرها مثل الصدقة الجارية وقراءة القرآن الكريم، ومنها ما

⁽⁶⁸⁾ أخرجه البخاري برقم (6307)، في الدعوات، بَابِ اسْتِغْفَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ.

⁽⁶⁹⁾ أخرجه ابن ماجه برقم (3818)، في الأدب، بَابِ اسْتِغْفَارِ.

نذكره في السطور التالية:

● **ذكر الله عزوجل، والإكثار منه،** قال تعالى: (يُؤَيِّنُ بَيْنَهُ يَوْمَ يَمُوتُ بَيْنَ يَدَيْهِ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالْغَائِبِينَ) [الأحزاب: 41 - 42] وفي الحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَسَبَّحُ بِهِ قَالَ: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ»⁽⁷⁰⁾.

ويحرص من الأذكار ما هي مقيدة بالأوقات والأحوال، ثم يحرص على الأذكار التي ورد عظم أجرها وكبر ثوابها، مثل قول النبي غ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ»⁽⁷¹⁾. وفي حديث آخر عَنْ جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ أَنَّ النَّبِيَّ غ مَرَّ عَلَيْهَا وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا ثُمَّ مَرَّ النَّبِيُّ غ بِهَا قَرِيبًا مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ فَقَالَ لَهَا: «مَا زِلْتَ عَلَى حَالِكَ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ قَالَ: أَلَا أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ تَقُولِينَهَا: سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ خَلْقِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ خَلْقِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ رِضَا نَفْسِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ رِضَا نَفْسِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ زِينَةَ عَرْشِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ زِينَةَ عَرْشِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ»⁽⁷²⁾. قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

فهذه الأذكار وأمثالها إذا حرص عليها المسلم فكانه قد قام بعمل جليل في وقت قصير.

● **الحرص على السنن والرواتب،** وقد كان الصحابة وسلف هذه الأمة أحرص الناس عليها، كما في حديث أم حبيبة ل، قال الإمام مسلم: في صحيحه: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ يَعْنِي سُلَيْمَانَ بْنَ حَيَّانَ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ أَوْسٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عَنبَسَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ بِحَدِيثٍ يَتَسَارُّ إِلَيْهِ، قَالَ: سَمِعْتُ أُمَّ حَبِيبَةَ تَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ غ يَقُولُ: «مَنْ صَلَّى

⁷⁰ () أخرجه الترمذي برقم (3375)، في الدعوات، بَاب ما جاء في فضل الذكر.

⁷¹ () أخرجه البخاري برقم (6406)، في الدعوات، بَاب فضل التسبيح، ومسلم برقم (2694) في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، بَاب فضل التهليل والتسبيح والدعاء.

⁷² () أخرجه الترمذي برقم (3555)، في الدعوات، بَاب في دعاء النبي غ.

اثنَتِي عَشْرَةَ رَكْعَةً فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ بُنِيَ لَهُ بِهِنَ بَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ» قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ: فَمَا تَرَكَتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهِنَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ غَ، وَقَالَ عَنَبَسَةُ: فَمَا تَرَكَتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهِنَّ مِنْ أُمِّ حَبِيبَةَ، وَقَالَ عَمْرُو بْنُ أَوْسٍ: مَا تَرَكَتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهِنَّ مِنْ عَنَبَسَةَ، وَقَالَ النُّعْمَانُ بْنُ سَالِمٍ: مَا تَرَكَتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهِنَّ مِنْ عَمْرُو بْنِ أَوْسٍ⁽⁷³⁾.

وورد عن النبي غ أن ركعتي الفجر أنهما خير من الدنيا وما فيها، وقد دعا النبي غ بالرحمة رجلا صلى أربعاً قبل العصر، وركعتا الضحى تساوي 360 صدقة على عدد مفاصل الإنسان⁽⁷⁴⁾.

9- ومما يطيل العمر أن يسعى الموفق فيما ينفع الناس، وخاصة ذوي الحاجة منهم، مثل الأرامل والمساكين، فأجره كبير وثوابه عظيم، فعن أبي هريرة قال: قال النبي غ: «السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ الْقَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ»⁽⁷⁵⁾.

10- ومن ذلك الإكثار من النيات الحسنة في الطاعة الواحدة ومن أمثلة ذلك: «الجلوس في المسجد» فإنه طاعة ويمكن أن تتوي بها نيات كثيرة، منها:

- 1- انتظار الصلاة.
- 2- الاعتكاف.
- 3- كف الجوارح عن المعصية.
- 4- ذكر الله تعالى. فتتال بكل نية حسنة ويملاً قلبك بالخير إن شاء الله تعالى.
- 11- ومن ذلك اغتنام الوقت الواحد في أكثر من عبادة. فعن ابن

⁽⁷³⁾ أخرجه مسلم برقم (728)، في صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل السنن الراجعة قبل الفرائض وبعدهن.

⁽⁷⁴⁾ انظر: صحيح مسلم حديث رقم (720)، صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى وأن أقلها ركعتان.

⁽⁷⁵⁾ أخرجه البخاري برقم (5353)، في النفقات، باب فضل النفقة على الأهل، ومسلم برقم (2982)، في الزهد والرقائق، باب الإحسان إلى الأرملة واليتيم والمساكين.

عمر ا قال: إن كنا لنعد لرسول الله غ في المجلس الواحد يقول: «رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور» مائة مرة⁽⁷⁶⁾. فتأمل كيف يغتنم المصطفى غ الواحد في عبادتين هما:

- ذكر الله تعالى واستغفاره.

- الجلوس مع الصحابة وتعليمهم أمر دينهم والاستماع إلى مشاكلهم .

12- ومن ذلك اغتنام الأوقات الفاضلة بالعبادة المخصوص بها،

والقاعدة في ذلك: إن إيقاع العبادات في أوقاتها الفاضلة التي أمر الشارع بها يحصل به المرء أجرا وثوابا عظيما - لا يحصله لو أوقع تلك العبادة في غير ذلك الزمن الفاضل، وهذا من فضل الله ورحمته -، ومن أمثلة ذلك:

أ- ذكر الله تعالى بعد صلاة الصبح حتى ترتفع الشمس قدر رمح.

ب- إجابة المؤذن للصلوات الخمس .

ج- الدعاء بين الأذان والإقامة .

د- استغلال الثلث الأخير من الليل بالصلاة والدعاء والاستغفار .

13- ومن ذلك اختيار طريقة الأعمال ذات الأجور المضاعفة، ومن

هذه الأعمال ذات الأجور المضاعفة:

1- الصلاة في الحرمين.

2- المحافظة على صلاة الجماعة في المسجد .

3- العمرة في رمضان .

4- العمل الصالح في عشر ذي الحجة .

5- الاستغفار للمؤمنين، قال غ: «من استغفر للمؤمنين والمؤمنات،

⁷⁶ () أخرجه الترمذي برقم (3434)، في الدعوات، باب ما يقول إذا قام من المجلس، وأبو داود برقم (1516)، في الصلاة، باب في الاستغفار، وابن ماجه برقم (2814) في الأدب، باب الاستغفار.

كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة» (77).

14- ومن ذلك أن يشعر المسلم الناس المحيطين به من الأولاد والأصدقاء والأقارب بحرصه على فعل الخير، ليكون قدوة حسنة لغيره فيعمل بعمله، ولكن مع الإخلاص لله تعالى. ومن سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً.

15- ومن ذلك اغتنام المناسبات السنوية الفاضلة، ومن هذه المناسبات:

1- شهر رمضان.

2- العشر الأوائل من ذي الحجة .

3- يوم عرفة .

4- العشر الأواخر من شهر رمضان .

5- يوم عاشوراء وغيرها.

فضع لك يا أخي برنامجاً ذاتياً لكل مناسبة من هذه المناسبات واستغلها في طاعة الله تعالى، تتل الأجر كأنك عملت أعمالاً جيدة آلاف السنين، مثل قيام ليلة القدر خير من ألف شهر.

16- استشعار نية الخير وإشغال القلب بذلك. ففي الحديث الشريف قال غ : «...وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالا فهو صادق النية، يقول لو أن لي مالا لعملت بفعلان فهو بنيته فأجرهما سواء» (78).

17- ومن ذلك تنويع مجالات العبادة، فيكون للمسلم من كل غنيمة سهم من الخير فيكون من أهله يوم القيامة، وفي الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله غ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِماً؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا قَالَ: فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا قَالَ: فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَسْكِيناً؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا قَالَ: فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضاً؟ قَالَ أَبُو

(77) سبق تخريجه.

(78) أخرجه الترمذي برقم (2325)، في الزهد، باب ما جاء أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر.

بُكَرٍ: أَنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ غ: مَا اجْتَمَعَنَ فِي أَمْرِي إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ» (79).

18- ومن ذلك تحصيل الأجر بالأخلاق الفاضلة، إن من الأسباب تحصيل الأجر وكسبه وتثقيل الميزان بالحسنات «حسن الخلق».

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّ النَّبِيَّ غ قَالَ: «مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ» (80). قَالَ أَبُو عِيسَى: وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

19- ومن ذلك المداومة على العمل الصالح وإن قل، إن من الطرق المفيدة لتحصيل الأجر المواظبة على فعل الخير الذي اعتاده الإنسان وإن كان هذا العمل قليلاً، وقد قال غ: «وإن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل» (81)، وكان آل محمد - أهل بيته من أزواجه وقرابته - إذا عملوا عملاً أثبتوه (أي: لازموا وداوموا عليه) (82) وكانت عائشة ل إذا عملت العمل لزمته (أي: داومت عليه) (83).

فمن ثمرة المداومة على العمل الصالح أن من كان يقوم بعمل بر وخير في الأحوال العادية ثم قصر عن القيام به لعذر طارئ كسفر أو مرض، فإنه يكتب له مثل ذلك العمل ويثاب عليه لو كان يفعله، كما قال غ: «إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً» (84).

20- ومن ذلك الأعمال القلبية كالصبر والاحتساب عند المصائب والشدائد؛ يثاب المسلم ويؤجر عند المصائب إذا صبر واحتسب ذلك عند الله تعالى لأنها علامة من علامات كمال الإيمان؛ فعن أبي سعيد وأبي

⁷⁹ (أخرجه مسلم برقم (1028)، في الزكاة، باب فضل من ضم إلى الصدقة غيرها من أنواع البر).

⁸⁰ (أخرجه الترمذي برقم (2002)، في البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق).

⁸¹ (أخرجه البخاري برقم (6464)، في الرقاق، باب كيف كان عيش النبي غ وأصحابه، ومسلم برقم (783)، في صلاة المسافرين، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره).

⁸² (أخرجه مسلم برقم (782)، في صلاة المسافرين، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره).

⁸³ (أخرجه الترمذي برقم (2002)، في البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق).

⁸⁴ (أخرجه البخاري برقم (2996)، في الجهاد والسير، باب يكتب للمسافر مثل ما كان يعمل في الإقامة).

هريرة ب عن النبي غ قال: « مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَدَى وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ »⁽⁸⁵⁾. والمؤمن أمره كله له خير إن إصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن إصابته ضراء صبر فكان خيرا له⁽⁸⁶⁾.

21- أن لا يحتقر أي معروف، قليلا كان أو كثيرا، صغيرا كان أو كبيرا، ولو كان ذلك بكف الشر عن الناس، رجل دخل الجنة بسقيه الماء للكلب، وفي حديث أبي ذرٍّ أ قال: سَأَلْتُ النَّبِيَّ غ: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَجَهَادٌ فِي سَبِيلِهِ، قُلْتُ: فَأَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: أَعْلَاهَا تَمَنَّا وَأَنْفُسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: تُعِينُ ضَايِعًا أَوْ تَصْنَعُ لَأَخْرَقَ، قَالَ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: تَدْعُ النَّاسَ مِنَ الشَّرِّ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ تُصَدَّقُ بِهَا عَلَى نَفْسِكَ»⁽⁸⁷⁾.

22- أن يحرص على أفضل الأعمال وأفضل العبادات في كل وقت وحال حسب استطاعته، وهذا ظاهر في سؤال الصحابة ي رسول الله غ عن ذلك، كما في الحديث المذكور.

فهذه الأعمال المذكورة مما يضاعف أجرها ويعظم ثوابها، والمسلم بالقيام بهذه الأعمال يطيل عمره معنويا، وإن لم يكن عمره طويلا حسيا لما سبق في الكتاب.



⁸⁵ () أخرجه البخاري برقم (5641، 5642)، في المرض، باب ما جاء في كفارة المرض، ومسلم برقم (2573)، في البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك، حتى الشوكة يشاكها.

⁸⁶ () أخرجه مسلم برقم (2999)، في الزهد، باب المؤمن أمره كله خير.

⁸⁷ () أخرجه البخاري برقم (2518)، في العتق، باب أي الرقاب أفضل.

الخاتمة

الحمد لله رب الأرباب، مجري السحاب، وهازم الأحزاب، وخالق خلقه من تراب .. أحمدته تعالى وأشكره، وأستغفره من كل ذنب وله العود وإليه المآب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى كل صحب وآل إلى يوم المآب، أما بعد:

فقد تجولنا جولة قصيرة مع حديث «الكيس من دان نفسه» عرفنا بها عظم وأهمية الوقت الذي هو عمر الإنسان، والذي هو أنفاس معدودة ومحدودة فعلى الإنسان العاقل أن يحسن استثمارها واستغلالها فيما يفيد. ولما كان لكل عبد سائر في هذه الدنيا زلة ولا ريب كان من المهم أن يقف مع نفسه بين الحين والآخر ليحاسبها ويعاتبها، بل ويعاقبها إن احتاج الأمر حتى تصل إلى نهاية الطريق وقد فازت وربحت.

كما عرفنا خطورة ما ذكرنا من عوائق في طريق محاسبة العبد لنفسه فوجب الحذر منها، وفي المقابل واجب على كل عاقل أن يتمسك بما يعين على محاسبة النفس لما في ذلك من أداء الواجب الذي استخلفنا الله في الأرض من أجله على الوجه الذي ينبغي.

وثمرة ذلك كله أن يستثمر الإنسان عمره بكل ما يطيله ليقدم على ربه بصفحات مليئة بالأعمال الصالحة، وكذا بما يستمر له بعد الموت من الثواب العظيم.

وأسأل الله تعالى أن يعيننا على أنفسنا وأن يجنبنا زلات الهوى والنفس والشيطان وعثرات الطريق، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه

أ.د. فالح بن محمد بن فالح الصغير

الموضوع
الصفحة

3	المقدمة
5	الوقف الأولى: نص الحديث وتخريجه
6	الوقف الثانية: المعنى الإجمالي
12	الوقف الثالثة: أهمية الوقت
15	الوقف الرابعة: خصائص الوقت
18	الوقف الخامسة: الزمن ميدان العمل
20	الوقف السادسة: أهمية المحاسبة للنفس وضرورتها
27	الوقف السابعة: فوائد محاسبة النفس
34	الوقف الثامنة: ميادين المحاسبة
40	الوقف التاسعة: الآثار السلبية لعدم المحاسبة
43	الوقف العاشرة: الوسائل المعينة على المحاسبة
49	الوقف الحادية عشرة: معوقات المحاسبة
52	الوقف الثانية عشرة: كيف أطيل عمري
70	الخاتمة
71	الفهرس